

ÉCOLE SUPÉRIEURE AFRICAINE

D'ÉTUDE ISLAMIQUE

DAKAR- SÉNÉGAL



الكلية الإفريقية

للدراسات الإسلامية

دكار - سنغال

التربية الإيمانية وأثرها في الفرد والمجتمع

بمحبة استكمال لي لنيل درجة البكالوريوس

إعداد الطالب / تيرنو سعد جالو

تحت إشراف / الأستاذ محمد انجاي

المناقش / الأستاذ مصطفى ويل

العام الجامعي:

1431 هـ - 2010 م

مدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا
قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ
إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

الحجرات : 17

إهداء

إلى والدتي العنون... إلى والدي العزيز... اللذين لقباني
العقيدة السلفية... وهذباني على الأخلاق الفاضلة... وارتضيا لي
طالب العلم ممدة هريفة... وبذلا في سبيله أموالا نفيسة... وأملائي
لأجله سنوات عديدة...

إلى روح زوجتي...المنتقلة إلى جوار ربها أيام انتمائي من هذا
العمل الذي كان لها فيه تأثير غني ودور ثري...

إلى زملائي في هذه الكلية... إلى كل مسلم يحبه الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم...

إليهم جميعا أهدي هذا الجهد المتواضع، راجيا من الله تعالى أن
يجعله خالسا لوجهه الكريم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، أستعينه سبحانه استعانة من فوض أمره إليه ، وأستغفره استغفار مقرر بذنبه ، معترف بخطيئته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتفرد بصفات الكمال والجلال ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وصفيّه من خلقه وأمينه ، بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين ، وأصحابه الغر الميامين ، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم من العلماء العاملين ، والأئمة المهتدين إلى يوم الدين .

وبعد .

فنظرا لما وصلت إليه الأمة الإسلامية اليوم من تقهقر في المجال التربوي، وتخلّف في الحقل التعليمي، وبُعدٍ للمنهج السلفي، حتى غدا التمسك بالدين غربة، والانتصار للحق مظلمة، ومصاحبة الصالحين عزيزا، وملزمة الخير عسيرا، وحتى فشى الجهل وطغى، وتظاهر الشر وانبرى، وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا، مع ما تملكه من منابع الخير وموارد البر ما كانت - لو تمسكت بها - أن تضل، ولا يعقل - إن رجع إليها - أن تزل.

" فالتردي الذي تعانيه الأمة اليوم لم يعد موضع نزاع أو مجال نقاش، فهو واقعٌ يعاني من التخلّف والانحطاط في كافة جوانبه، ونظرا لتعالي الصيحات في وسط هذا الركاب من الواقع البئيس¹ ... أصبح من أهم المهمات وأوجب الواجبات السعي إلى إبراز الأدلة الصادقة على أن المشروع التربوي الإسلامي هو الحل الوحيد الذي يستطيع أن يخرج العالم من هذا التيه الأليم ويخلصه من هذا المأزق المرّ.

وتأكيدا على هذا الشعور قام الباحث بتقديم اقتراح إلى الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية ببحث يحمل عنوان " التربية الإيمانية وأثرها في الفرد والمجتمع " ليكون موضوع بحثه التخرجي لاستكمال درجة البكالوريوس. ولما وافق عليه أعضاء لجنة البحوث ، ومدوني بيد العون والتشجيع؛ اطمأن إليه نفسي وانشرح له صدري ، وشمرت عن ساعد الجد - مع شعوري بالقصور وإقراضي بالتقصير - لأقتدي بأولئك الذين شغل بالهم مهمة التربية ، وخلصت نياتهم للوعظ والتذكرة ، وتعلقت قلوبهم بعملية التأليف في واقع الأمة .

¹ التربية الجادة ضرورة، د. محمد بن عبد الله الدويش، ج 1 ص 2، ط 3، المكتبة الشاملة، قسم الدعوة التربوية والأخلاق، الإصدار الثالث.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وللبحث حول التربية الإيمانية وآثارها أهمية كبيرة ومنافع جليلة ونتائج مفيدة ، دفعتني إلى اختيار الموضوع منها :

أولاً : أن كثيرا من أبناء الإسلام قد بعدوا عن العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وتلبسوا بخرافات جاهلية ، وشركيات عقدية خطيرة ، تشتت الحاجة إلى بيانها لتحذر ، وتدعو الضرورة إلى ترغيب الرجوع إلى منبع الإيمان الصافي .

ثانياً : أن التربية في العصر الحديث قد حصرت عنايتها على الجانب العقلي والجسدي في تكوين الفرد ، وأهملت الجانب الروحي الأساس للإنسان ، فنتج من ذلك شعوب مثقفة ماهرة في الصناعة والإنتاج، لكن إنتاجا ماديا بحتا ، عارية عن المثل والأخلاق ، مولعة بالجور والإجرام . فكان لا بد للمؤمنين من لفت أنظار المربين إلى التربية الإسلامية بصورتها الكاملة حتى ينتبهوا ويعقلوا محتواها .

ثالثاً : انبهر كثير من قادة المسلمين ومتبوعيهم، ومثقفينهم وأميهم بحضارة الغرب الزائفة ، ورجعوا إليهم لحل مشكلاتهم الاقتصادية والسياسية وحتى الاجتماعية والتربوية ، وظن بعضهم أن التمسك بالدين سبب للتخلف في الحياة ، وفي ذلك من الشر ما الله به عليم. ويريد الباحث أن يوضح هنا أن الإيمان الصحيح هو الحل الوحيد.

رابعاً : تهدف التربية الإسلامية من بين أهدافها السامية إلى تكوين فرد مسلم مستقيم الذات ، مرضي السلوك ، يؤثر في مجتمعه تأثيرا إيجابيا سليما ، وذلك من خلال التربية الإيمانية التي يتلقاها من شريعته الإسلامية .

خامساً : في الوقت الذي يتخبط فيه إنسان المادة في لجج الضلال، ويتذمر فيه عباد الشهوة من خنق الاكتئاب، ويتلمس فيه أعداء الدين ما يروح النفس، في الوقت الذي يفر فيه العاصي من آثار ذنوبه، ويطلب الظالم إقالة جرمه، في تلك الأوقات الحالكة ينادي منادي الإيمان { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ } يونس 9.

ليأخذ بأيديهم إلى روضات الجنان، وينجيهم من حيرة العقول إلى راحة القلوب.

سادساً : إن في البحث حول التربية الإيمانية وآثارها لتذكية للنفس، وترقية للروح، وتوجيها للسلوك، وتأثرا بالآيات وتَعَقُّلاً للأحاديث، إن لم يكن البحث مجرد جمع وترتيب، ولكن لمن بحث بصفاء العقل وحضور القلب.

سابعاً : وأما القارئ الحذق فسيخرج منه بنتيجة ثرية وفوائد ثمينة ، يتذوق حلاوته، ويستنشق طيبه، ويفرح بأعجوبته فيحتفظ بمستحسناته.

لأنه يتخلل وقت قراءته جنة الدنيا، وسعادة الأخرى، الخصبة تربتها، الحضرة نباتها، المثمرة أشجارها، الوارفة ظلالها، اللطيف هوائها، الفسيح أفناؤها.

منهج البحث:

لما كانت طبيعة الموضوع تستدعي تصوير الحالة السائدة التي يعيشها الأمة في حياتها اليومية، فقد حاولت أن تكون ذلك على ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعرضت للموضوع، ورجعت لها إلى كتب التفسير المعتمدة وشروح الأحاديث المشهورة، ليتسني لي بواسطة ذلك نقد بعض الأخطاء المنشرة بين الأمة والإشارة إلى الحل الإسلامي لها.

فجمعت بين المنهج التاريخي (الوثائقي) والمنهج التحليلي، ووجدت أن لا بد لي في تحقيق ذلك من:

- 1-الرجوع إلى المصادر والمؤلفات والمقالات التي تناولت القضايا المتعلقة بالبحث.
- 2 -جمع المادة العلمية التي أحتاج إليها من تلك المراجع حسب الخطة، ودراستها دراسة شاملة، ثم تسجيلها بطريقة مختصرة سهلة.
- 3 -الإستشهاد بأقوال علماء الغرب عند الحاجة إلى ذكر شهاداتهم على ما أورد؛ إذ طبيعة الموضوع يتطلب ذلك لميله إلى المقارنة في بعض الأحيان.
- 4 -وضع علامتي التنصيص للمنقولات الحرفية، والإشارة إلى مصادرها في الهامش، وإن غيرت الأصل وبقيت الفكرة لا أضعهما ، وإنما أشير إلى المصدر بعد نهايته بذكر المؤلف والجزء والصفحة والطبعة إن وجدت.
- 5 -عزوا الأحاديث إلى مصادرها الأصلية ، بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف، والكتاب والباب أو رقم الحديث أو الباب، إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، وأما إن كان من غيرهما فسأضيف إلى ذلك تخريجه، بذكر أقوال علماء الحديث فيه... وإن لم أجد ذلك حاولت تخريجه بنفسه حسب استطاعتي.
- 6 -اقتبست بعض الفوائد من الآلة الإلكترونية، وهي إما أن تكون من الإنترنت؛ فإن كانت من كتاب مصور بطريقة P. D. F أخذت منه وأحيلت إليه مباشرة، و إن لم يكن كذلك أشرت إلى اسم الموقع وتاريخ الزيارة. أو تكون من المكتبة الشاملة فأذكر الإصدار المعتمد.
- 7 -ترجمت لجميع الأعلام الواردة أسماؤهم في متن البحث ترجمة مختصرة، عدا الأنبياء والخلفاء الأربعة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمه وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس.

أولا : أما المقدمة:

ففيها بيان أهمية الموضوع وسبب إختياره وذكر المنهج المتبع في البحث، والشكر والتقدير.

ثانيا: وفي التمهيد:

لمحة موجزة عن التربية في المجتمعات غير الإسلامية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التربية في العصور القديمة.

المبحث الثاني : التربية في العصور الوسطى.

المبحث الثالث : التربية في العصر الحديث.

ثالثا : الفصل الأول : التربية الإيمانية.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التربية في الإسلام.

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف التربية الإسلامية.

المطلب الثاني : أسس التربية الإسلامية.

المطلب الثالث : أهداف التربية الإسلامية.

المطلب الرابع : مصادر التربية الإسلامية.

المبحث الثاني : الإيمان.

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالإيمان.

المطلب الثاني : أركان الإيمان.

المطلب الثالث : مراتب الإيمان.

المطلب الرابع : الإيمان والإسلام.

المطلب الخامس : ثمرات الإيمان.

المطلب السادس : زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب السابع : مميزات العقيدة الإسلامية.

المبحث الثالث : أهمية التربية الإيمانية.

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : التربية الإيمانية المقصودة

المطلب الثاني : التربية الإيمانية نعمة إلهية.

المطلب الثالث : التربية الإيمانية غاية دينية.

المطلب الرابع : التربية الإيمانية حاجة بشرية

المطلب الخامس : التربية الإيمانية فطرة إنسانية.

المبحث الرابع : وسائل التربية الإيمانية.

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : العلم النافع.

المطلب الثاني : الشعائر التعبدية.

المطلب الثالث : التلاوة والذكر.

المطلب الرابع : القدوة الحسنة.

المطلب الخامس : الصبغة الصالحة.

المطلب السادس : الوعظ والإرشاد.

المطلب السابع : المحاسبة والتقوى.

المطلب الثامن : الإستعانة بالله ودعوته.

رابعاً: الفصل الثاني : آثار التربية الإيمانية.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : آثار التربية الإيمانية في الفرد.

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الآثار النفسية.

المطلب الثاني : الآثار العقلية.

المطلب الثالث : الآثار السلوكية

المطلب الرابع : الآثار المادية

المبحث الثاني : آثار التربية الإيمانية في المجتمع.

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الإتحاد والأخوة.

المطلب الثاني : التكافل والتضامن.

المطلب الثالث : التناصح والتسامح.

المطلب الرابع : العمل والانتاج.

المطلب الخامس : رعاية الحقوق وأداء الواجبات.

المبحث الثالث : نماذج إيمانية من تاريخ المسلمين.

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : في الاخلاص والثبات.

المطلب الثاني : في طلب العلم.

المطلب الثالث : في العبادات.

المطلب الرابع : في التوكل علي الله والثقة به.

المطلب الخامس : في الحاكم العادل.

خامسا: الفصل الثالث : ظاهرة الانحراف عن التربية الإيمانية.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مظاهر الانحراف عن التربية الإيمانية بين المسلمين.

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الانحراف في العقيدة.

المطلب الثاني : الانحراف في العبادات

المطلب الثالث : الانحراف في الأخلاق.

المطلب الخامس : الانحراف في الآداب.

المبحث الثاني : أسباب الانحراف عن التربية الإيمانية.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأسباب الداخلية.

المطلب الثاني : الأسباب الخارجية.

المبحث الثالث : حلول مقترحة لمحاربة الانحراف عن التربية الإيمانية.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

المطلب الثاني : توفير وسائل التربية السليمة.

سادسا: وفي الخاتمة :

ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

سابعا: الفهارس :

وقد فهرست أولا : الآيات القرآنية الواردة في البحث, مقتصرًا على أطرافها مرتبها على حسب ورودها في المصحف.

ثانيا : ثم الأحاديث النبوية على أطرافها حسب الحروف الهجائية.

وثالثا : فهرست لأهم المراجع والمصادر التي استفدت منها على حسب حروف المعجم.

وأخيرا : وضعت فهرسة لمحتويات البحث, مرقمة على حسب تسلسلها في الورود.

كلمة شكر وتقدير:

لا يسعني وقد انتهيت من إعداد هذا البحث إلا أن أتوجه إلى الله عز وجل بالشكر والعرفان على ما منّ عليّ من إتمام هذا العمل ... مع ما كان ينتابني من الخوف حيناً، ومن التواني حيناً آخر، فله الحمد أولاً وآخراً فقد أجاب دعوتي، وحقق أمنيّتي.

كما أنني أشكر جميع القائمين على هذه المؤسسة العلمية المنيفة، وعلى رأسهم الدكتور/ محمد أحمد لوح - حفظه الله - الذي لا أملك كلمات مقعنة أخصصها به لإظهار حبي له إلا أن أقول " جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ". وكذلك أشكر وكيل الكلية موسى جوب الحريص على إفادة الطلبة القائم لما يحقق لهم النجاح.

كما أتقدم بخالص الشكر لمشرفي على هذا البحث، فضيلة الأستاذ/ محمد انجاي، الذي أفادني برحابة صدره ولطافة نفسه، ثم بشمول إرشاداته وحسن توجيهاته منذ أن بدأت أتفكر في طريقة وضع الخطة إلى أن خرج البحث في شكله الأخير، وأعترف له بكونه أبا رؤوفاً قبل كونه أستاذاً مربياً.

كما أن لأستاذي المناقش/ مصطفى ويل فضل معترف به، حيث قوم المعوج، و صوّب الخطأ.

ثم أشكر وأعترف لكل من أعانني على إنجاز هذا العمل بإعارة كتاب أو إهداء نصيحة أو إعطاء عناية، وأخص منهم الأخ/ تيرنو سيدي جالو الذي اقتطعت منه أوقاتاً كثيرة راضياً شاكراً. وأدعو لهم جميعاً بالبركة والتيسير والمغفرة.

التمهيد:

لمحة موجزة عن التربية في المجتمعات غير الإسلامية:

وفيه ثلاثة محاور:

المبحث الأول : التربية في العصور القديمة.

المبحث الثاني : التربية في العصور الوسطى.

المبحث الثالث : التربية في العصر الحديث.

تمهيد:

تندرج التربية الإيمانية ضمن أقسام التربية الإسلامية التي تضم إضافة إليها: التربية العقلية والتربية الخلقية والتربية الجسمية.

وهي تهتمّ بالجانب العقدي (الغيبي) من حياة الإنسان...

وتعمل على إصلاح روحه وتزكية نفسه وإرشاد ضميره...وفق ما استوحاه من مصادر واستنبطه من أسسه ومبادئه.

وقد اختلفت أنواع التربية التي برزت في العصور المختلفة على مرّ القرون بناء على اختلاف بيئاتها ومرجعياتها وأهدافها التربوية...

وللتربية الإسلامية مميزات وخصائص تكشف لها الفضل الجليّ، وتوضح الفارق الكبير بينها وبين غيرها من أنواع التربية...من حيث المبدأ والمنطق، ومن حيث الأسلوب والوسيلة، وبالتالي من حيث التأثير والنتيجة...

ولكي ينجلي ذلك مهّدنا هذا البحث بلمحة موجزة عن التربية في المجتمعات غير الإسلامية. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التربية في العصور القديمة.

المبحث الثاني: التربية في العصور الوسطى.

المبحث الثالث: التربية في العصر الحديث.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التربية في المجتمعات البدائية.

كانت العملية التربوية لدى الشعوب البدائية تهدف إلى استمرارية الحياة الاجتماعية وبقائها...

"...فكانت تقتصر غالبا على إشباع حاجات الجسم: من طعام وغذاء ومأوى " ².

" ونظرا لعدم وجود مؤسسة تربوية مسؤولية (كالمدرسة) فكان يتولّى العملية التربويّة: الأبوان، الأسرة، أو العائلة، أو الكاهن القبيلة " ³

" فيتم التعليم في المجتمع البدائي بصورة سهلة بسيطة " ⁴

فقد كان يكفي الطفل ملاحظة البالغين وتقليدهم في أنشطتهم المختلفة كالزراعة والصيد والطقوس الدينيّة.

كما كان الطفل متميزا بالقبليّة والطواغية العامة...

المطلب الثاني: التربية في المجتمعات الشرقية القديمة:

ويقصد بها تربية الحضارات التي كانت في الشرق، وهي على أقسام منها:

القسم الأول: التربية الهندية:

" لقد تميّزت التربية الهندية عن غيرها بأنها كانت تربية خاضعة لصفتين مهمّين: صفة اجتماعية، وأخرى دينيّة... " ⁵

" حيث كان للدين، والنظام الطبقي أثر واضح في تشكيل نظام التربية بالهند " ⁶

" وكان كهنة الهندود يجهدون في أن يقتلوا كلّ حرية فردية، وكلّ استعداد فردي بما يتلقونه من مذاهب التقشف والعزوف عن الحياة... وهكذا كان الإنسان يولد عبدا مضاعفا...

² دراسات في تاريخ الفكر التربوي، سيد إبراهيم الجبار، ص 40، وكالة المطبوعات، ط 1، 1394 هـ 1974 م.

³ التربية وثقافة المجتمع، إبراهيم ناصر ص 109 مؤسسة الرسالة، بيروت ط 1، 1404 هـ 1983 م.

⁴ تاريخ التربية في الشرق والغرب، محمد منير مرسي ص 23 عالم الكتب، القاهرة، ط 1977 م.

⁵ الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، سهام مهدي جبار، ص 51، المكتبة العصرية، بيروت ط 1، 1417 هـ 1997 م.

⁶ تطور الفكر التربوي، سعد مرسي أحمد، ص 82، عالم الكتب، القاهرة ط 1982 م.

عبدا بفضل طبقتة التي كانت تعرض عليه البقاء على ما كان عليه آباؤه وأجداده، وعبدا بفعل هذه الصلة الصوفيّة...⁷

القسم الثاني: التربية عند العبرانيين:

"كان التربية لدى العبرانيين في العصور الأولى تربية أسريّة، ولم يكن لديهم أي مدارس نظامية (قبل المسيح عليه السلام)..."

ويظهر أنّ الفتيان هم الذين كانوا يتعلمون القراءة والكتابة، أما الفتيات فكّن يتعلمن الشؤون المنزلية والرقص والغناء... أمّا بعد ظهور المسيحيّة فقد أخذ العبرانيون بالتربية الفكرية كثيرا فأنشئوا المدارس لأول مرة⁸

القسم الثالث: التربية عند الصينيين:

كانت هناك علاقة أساسيّة بين التربية والحياة الاجتماعيّة للصينيين...

فالغرض من التربية عندهم هو " البحث في مقتضيات الحياة"⁹

" ولم يكن للصينيين نظام تعليمي حكومي... فقد انتشر مدارس القرى في أكواخ صغيرة يتناول المعلم أجره من آباء التلاميذ ولم يلحق هذه المدارس إلا أبناء القادرين..."

كما هناك مدارس للبنات، ولا تعلم لغالبية التلاميذ بعد سن الخامسة عشر¹⁰

"وقد ظهر في الصين نظام الامتحانات التي هي المعيار الذي ينتخب به موظفو الحكومة، والناجح فيها يكون موضع ثقة الشعب واحترامه"¹¹

" ومن الملاحظ أنّ التربية الصينية للطفولة اتّسمت بالمحدودية، إذ توجّهها التقاليد المتوارثة، ولا تكون لدى الطفل المرح والسعادة الطفوليّة والتلقائية في التعبير، كما كأنّها لم تكن تبحث على التربية الجسمية والوجدانية والفنيّة واستمتاع الطفل باللعب والترفيه، وإنما تتسم بالجديّة وعدم اللهو، والحرص على العمل الدؤوب المتواصل"¹²

القسم الرابع: التربية عند الباليين والأشوريين:

⁷ التربية عبر التاريخ. عبد الله عبد الزائر، ص 26-27، دار العلم للملايين، بيروت ط 5، الرابعة 1981م.

⁸ ينظر: التربية وثقافة المجتمع، ص 112، والمرجع في مبادئ التربية، أحمد أبو طلال وآخرون، ص 13، دار الشرف عمان ط 1، 1993م.

⁹ التربية وثقافة المجتمع، ص 113.

¹⁰ تطور الفكر التربوي، ص 74-75.

¹¹ التربية عبر التاريخ، ص 34-35.

¹² نفس الرجوع، ص 38

" قامت الدولة البابلية القديمة حوالي عام 2006 ق.م على إثر سقوط سلالة أور الثالثة السومرية على يد العموريين... "13

" وقد عرف البابليون العديد من المدارس التي مكنتهم من بلوغ مستوى رفيع من الحضارة في بلاد الرافد، وقد اقتصرت التربية العالية على السحرة، وعلى الطبقة العليا. كما دلت التقنيات التي أجريت في عدد من مدن العراق القديمة على وجود عدد المدارس العليا المشهورة بتدريس العلوم الدينية واللغوية والأدبية والفلكية والقانونية والطبية والطبيعية والرياضية".14

القسم الخامس: التربية عند الفرس:

" كانت التربية عند الفرس تبدأ في الأسرة، فلأب في الأسرة الفارسية سلطة مطلقة ((15

((وكانوا يبقون الولد في حجر والدته حتى الخامسة من عمره"16

" وبعد سن السابعة يصبح في يد الدولة التي تتعهد بتربيته، وتقسم التربية إلى قسمين: بدنية وفكرية"17

" وقد شيدوا بعض المدارس، وعرفوا أساليب التدريس والتربية، ومن مناهج تربيتهم: تعويد الأولاد الصدق منذ نعومة أظفارهم، حتى أنهم كرهوا التجارة لأنها تحمل على الكذب"18

القسم السادس: التربية لدى قدامى المصريين:

" تعتبر مصر من أقدم البلدان سگانا، حكمتها منذ أقدم العصور سلالات عديدة من الفراعنة"19

ولقد توفر للمصريين في ظروف بيئتهم ما كفل لهم الحياة الآمنة المستقرة.

ولقد اهتموا بالتربية اهتماما كبيرا حيث " كان زمام التربية المصرية القديمة في أيدي الكهنة، فكانوا رجال العلم وحفظته والمعلمين والمؤدبين"20

13 محاضرات في التاريخ القديم، عامر سلمان وزميله، ص 119، مركز بحوث الآثارية والحضارية.

14 المرجع في مبادئ التربية، ص 11.

15 التربية عبر التاريخ، عبد الله عبد الدائم، ص 43

16 جولة في روع التربية والتعليم، عمر رضى كحالة، ص 22، مؤسسة الرسالة ط 1، 1400 هـ 1980 م.

17 التربية وثقافة المجتمع، إبراهيم ناصر، ص 118.

18 جولة في روع التربية والتعليم، عمر رضى كحالة، ص 33.

19 التربية عبر التاريخ، ص 45.

20 جولة في روع التربية، ص 16.

" فقد كان الهدف من التربية الفرعونية ثقافياً ودينيًا ومهنيًا، يؤكد سيطرة الحاكم ورجال الدين من ناحية، وتعليم الأفراد للقيام بالأنشطة المختلفة الحكومية والدينية والمهنية والفنية من ناحية أخرى" ²¹

" وكانوا يعلمون أطفالهم الحكمة والفضيلة والطاعة عن طريق احترامهم لمعلمهم والانصياع لأوامرهم... وكان العقاب أمراً مألوفاً في تربية الطفل إذا ما أساء الأدب" ²²

المطلب الثالث: التربية في المجتمعات الغربية القديمة:

وهي على قسمين:

القسم الأول: التربية عند اليونانيين:

" يعتقد كثير من المفكرين الغربيين أنّ الثقافة الإغريقية تعتبر أساساً للثقافات التي ظهرت بعد ذلك في أوروبا" ²³

" وتعدّ التربية في مقاطعة (إسبارطة وأثينا) أنموذجاً للتنشئة الاجتماعية السائدة لتربية الطفل في ذلك الوقت.

لقد كان على الأسرة الأسبارطية ألاّ يقيّد نمو الطفل أو تعيق حركته، كما كان عليهما أن يتبتعد عن تدليله، إنما تعامله بخشونة فتتركه يبكي دون استجابة لبكائه، أو تتركه في الظلام بمفرده، وذلك من أجل إذكاء روح الشجاعة، والتحمل اليدين عند الطفل.

أما أثينا فقد هدفت إلى تكوين تناسق بين روح مرهق تحس بالجمال وتقدر الأدب وجسم رشيق قوي، أي إلى تكوين الرجل الكامل عقلاً وجسماً وذوقاً "

وهكذا تبدوا تربية الطفل الأثيني أنها سعت إلى تحقيق النمو المتكامل جسمياً وعقلياً وذوقياً ما عدا الجانب الروحي المتعلق بالعالم الآخر...

بينما توجّهت التربية الإسبارطية إلى تحقيق النمو الجسمي للطفل بدرجة أساسية ولم تولّ الجانب العقلي والفني والاجتماعي فرصة كافية للاهتمام بقدر ما كان للجانب الجسمي" ²⁴

وأنّ هدف التربية في أثينا يسعى إلى إيجاد التوازن بين الجسد والروح وذلك لتكوين الفرد " ومساعدته على تحقيق النمو المتكامل والاهتمام بالنواحي الجسميّة والروحيّة والفنيّة" ²⁵

²¹ تاريخ التربية في الشرق والغرب، ص 33.

²² تربية الطفل في العصور القديمة، د / ليلماء الديوان، ص 128، من موقع غرابيل www.g111g.org . بتاريخ 2010/07/24م.

²³ دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص 54.

²⁴ تربية الطفل في العصور القديمة، ص 121.

القسم الثاني: التربية الرومانية:

" ترمي التربية الرومية إلى أغراض مادية صرف... لم تكن المدارس وجود عند الروم الأقدمين قبل ابتدائهم في مجاورة الإغريق ومحاكاتهم إياهم في نظم التربية والتعليم... وإن كانت التربية في أوائل أمرهم لا تعدو تمرين الأحداث وأخذهم أخذًا عمليًا بأنواع خاصّة من الكفايات والفضائل التي تتضمنها الأغراض الرومية وتنطوي عليهما الحياة العامة... وكانت الأسرة أهم وسائلهم وأعظم وسائلهم في هذه التربية، وهذا هو السرّ فيما كان للأسرة من المنزلة الرفيعة بين معاهد التعليم الرومية القديمة " ²⁶

المبحث الثاني: التربية في العصور الوسطى:

" وتمتدّ العصور الوسطى من عام 746م إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد البرابرة الجرمان إلى عام 1453م إلى سقوط القسطنطينية على يد العثمانيين، وانتهاء حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا". ²⁷

" وتتكوّن هذه العصور من المجتمع البيزنطي ومجتمع أوروبا العصور الوسطى، والمجتمع الفارسي، والمجتمع الإسلامي" ²⁸

وفيه مطالبان

المطلب الأول: التربية في أوروبا النصرانية:

" وقد أدّى الضعف والانحلال والفساد المستشري في الدولة الرومانية إلى ظهور الديانة المسيحية التي جاءت تخاطب العاطفة والوجدان وتدعو إلى صقل الروح وتهذيب الأخلاق... وقد قوبلت في بداية الأمر بالمعارضة... ثم أصبحت دين الدولة الرسمي في أواخر القرن الرابع الميلادي" ²⁹

" وقد عرف هذا العصر باسم عصر الإيمان (the age of fait) ولقد اهتمت الكنيسة في العصور الوسطى بمبادئ التعلم، والصداقات، وبث الأخلاق الفاضلة" ³⁰

²⁵ تطور النظريات والأفكار التربوية، عمر محمد التومي 25 دار الثقافة، بيروت ط 1971م.

²⁶ جولة في روع التربية والتعليم، ص 68، دار الثقافة، بيروت لا ط 1971م

²⁷ المرجع في مبادئ التربية، أحمد أبو هلال وآخرون ص 27، دار الشروق والنشر عمان ط 1، 1993م.

²⁸ حضارة أوروبا في العصور الوسطى، محمود سعيد عمران ص 7، دار النهضة العربية بيروت، ط 1411 هـ 1991م.

²⁹ تاريخ التربية، محمود عبد الرزاق وزميله، ص 136-137، دار العلم الكويت ط 3، 1968م.

" إنّ تعاليم المسيح المشحونة بالأخلاقيات وخاصّة عن المساواة بين النّاس، فتحت أنواع التعليم أمام كلّ طفل مسيحيّ بغض النظر عن كيانه الاجتماعي ومستواه الاقتصادي وجنسه وسلالته"³¹

" إلّا أنّها كانت تتّسم بالكبت والقسوة، بعيدا عن الفرح والبهجة والاهتمام بحاجات الطفل"³²

المطلب الثاني: التربية العربيّة قبل الإسلام.

" كان العرب الجاهلين يحظون الطفولة مكانة عظيمة في نفوسهم، وكانوا ينقسمون إلى أهل البدو، وهم الأُمّة الرحالة الذين يسكنون الخيام ويركبون الخيل ويكسبون بالأنعام، وكانت أغراضهم التربوية تتلخص في إعداد النشئ لتحصيل ما هو ضروريّ لحفظ الحياة كمدافعة العدو ومنازلة الوحوش ورعي الأنعام.

وأهل الحضر الذي يسكنون القرى ولهم قوانين وشرائع، ولذا كانت أغراضهم التربويّة هي إعدادهم الطفل لحياتهم الحضريّة عن طريق تعليمهم الصناعات والمهن وتدريبهم الطبّ والهندسة"³³.

فتبيّن أن هدف التربية عند العرب في الجاهلية ما كان يعدوا عدد الفرد العربي القيام بمتطلبات الحياة المعيشيّة، وإكسابه الخيرات في شؤون التجارة والزراعة، ورعي الإبل والمواشي، وفي أعمال الحرب، وصناعة أدواتها والتدريب على فنونها والدفاع عن النفس³⁴.

المبحث الثالث: التربية في العصر الحديث:

استطاعت التربية المعاصرة أن تحتل مكانا لم تحتله في أيّ عهد من العهود، وذلك عبر المحاولات والدراسات النظرية والتطبيقات الجريئة التي وصلت إلى نتائج تعتبر فريدة تعتمد على معرفة نفسية الطفل من حيث تكوينها وميولها وحالاتها، وعلى الوسائل والأساليب المعينة لإعداد الإنسان الذي يصلح لوطنه وشعبه.

ولا شك أنّ للتطور التربويّ، الغربي المشهود في هذه الآونة الأخيرة إنجاز مهمّ وإنتاج مفيد قادر على بناء الفرد الصالح وضامن لصنع الإنسان السعيد وكفيل لتكون المجتمع المثالي، لولا

³⁰ حضارة أوروبا في العصور الوسطى، محمود سعيد عمران، ص 9.

³¹ تطور الفكر التربوي، ص 195-196.

³² تربية الطفل في العصور القديمة ص 45.

³³ انظر التربية قديمها وحديثها، فاخر عاقل دار القلم، بيروت ط 3، 1981. نقلا من الطفل في الشريعة الإسلامية ص 67.

³⁴ انظر: تربية الطفل في العصور القديمة، ص 94.

أنّ هذا التطور مبنيّ على العقل البشريّ لا يعبأ بالدين ولا يلفت نظرة إلى عقيدة، وإن أخذ منهما فمن دين منحرف وعقيدة باطلة لا يصح لإثبات الحقائق ولا لتفسير الوقائع المعنوية و الحسيّة.

إنّ الملاحظ للنظريّات التربويّة الحديثة يجد أنّها ضيّقة الأفق أحاديّة النظرة بشكل واضح ملموس، فتسرّبت إليها الخيبة وباءت بالخسران.

" فالمذهب التربوي المثالي - مثلاً - ينطلق أساساً من الاهتمام الكامل بالروح، والسعي لنجاتها على حساب المادة، وينتج عنها بالطبع إهمال مشكلات الإنسان على أرض الواقع.

وأما المذهب الطبيعي فإنّه على العكس من المذهب المثالي، يركّز على الجسد وما به من عواطف وغرائز وميول، فيعطيها الأهمية القصوى على حساب العقل.

وأما المذهب البرجماتي فيصرف النظر بعيداً عن الأشياء الأوليّة والمبادئ والقوانين والحتميّات المسلّم بها، ويهتم بالأشياء الأخيرة أي الثمرات والنتائج والآثار وينظر إلى الحقيقة على أنّها هي المنفعة.

وهي أسس لا تقيم مبادئ، ولا تعلّم أخلاقاً ولا قيماً، وإنما تنتج مجموعة من الأنانيين الذين لا يهتمّهم إلّا تحقيق أكبر قدر من المصالح ولو على حساب الآخرين.

وهكذا تركّز هذه المذاهب على بعد واحد من أبعاد الكيان الإنساني على حساب الأبعاد الأخرى، وبالتالي لم تقلح التربية الغربية في إعداد الإنسان السوي، وإلّا فما هو تفسير الحروب والدمار والأنانية وحبّ الذات والضياع الذي يعيشه الإنسان الغربي؟ !".³⁵

³⁵ اختصار من أساسيات في التربية، خلفية يوسف الطراونه، ص 56، دار الشروق، ط 2004 م. ومن موقع: www.almouslim.net، بتاريخ 16 / 4 / 2020 م، المشرف العام أ.د/ ناصر بن سليمان العمر.

الفصل الأول: التربية الإيمانية:

لا أقول أن التربية الإيمانية هي وحدها جوهرة الإسلام، ولا بأنّها وحدها التي ذكرت في القرآن الكريم أو في السنة النبوية...

ولكنها تعتبر الأساس الأوّل والهدف الأسمى من بين الأسس المتينة والأهداف السامية التي جاء بها الإسلام وأشاد بها القرآن الكريم والسنة النبوية...

ولذلك يحسن التعرض لها في هذا الفصل، لنرى كيف أنها من أولويات الإسلام، ولنعرف ما هي حقيقة هذا الإيمان الذي نقصده، وما هي أهميته، ولنصل أخيراً إلى معرفة الوسائل الموصلة إليه، وقد تم تكوينه في أربعة مباحث هي:

المبحث الأول : التربية في الإسلام.

المبحث الثاني : الإيمان.

المبحث الثالث : أهمية التربية الإيمانية.

المبحث الرابع : وسائل التربية الإيمانية.

المبحث الأول: التربية في الإسلام:

تمهيد:

لقد تبين لنا من خلال العرض الموجز للتربية في المجتمعات غير الإسلامية في التمهيد، أنَّ المسؤولين عن التربية فيها قد بذلوا جهوداً مضيئة لتقدّم لأبنائها الصورة المثالية التي ينشدون الوصول إليها، وليأخذوا بأيديهم إلى طريق المجد الذي يأملونه...

وكلّها كانت تتمسّك بجوانب وتهمل أخرى، وتستعمل وسائل على حساب غيرها... فباعت بالفشل لأنها لم تصب الهدف، وانكشف لها الخطأ لأنها لم تبين على أساس...

فجاءت التربية الإسلامية ثابتة الأسس محدّدة الأهداف صافية المصادر فكان حظها النجاح وقسطها الفلاح بيسر وسماح...

وفي هذا المبحث تفصيل لهذا السرّ... وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التربية الإسلامية:

وضع علماء ومفكروا وكتّاب التربية الإسلامية عدة تعارف للتربية الإسلامية، منها:

(1) عرفها الشيخ عبد الرحمن النحلاوي بقوله:

" هي التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه كلياً في حياة الفرد والجماعة "

أو بمعنى آخر:

" هي تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الدين الإسلامي، قصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة في كلّ مجالات الحياة " ³⁶

(2) التربية الإسلامية هي:

" تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس مبادئ الإسلام وتعاليمه بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة " ³⁷

(3) التربية الإسلامية هي:

³⁶ أصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن النحلاوي، ص 27، دار الفكر دمشق، ط 1، 1399 هـ / 1979 م.

³⁷ أساليب التربية والتعليم في الإسلام، الشيخ الأمين محمد عوض، ص 34.

" تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه اللفظي والعملي على أساس الدين الإسلامي، فهي تهتم ببناء شخصية المسلم الذي سيبنى المجتمع الإسلامي القديم القادر على مواجهة أخطار أعداد الدين الإسلامي والعامل على نشر كلمة الله في الأرض" ³⁸

- ويلاحظ على هذه التعارف جميعاً أنها تركز على تنمية شخصية الإنسان المسلم في جميع جوانبها، بحيث تحقق أهداف الإسلام العامة وتنشر كلمة الله في الأرض...

ويمكن صياغة تعريف التربية الإسلامية على النحو التالي:

التربية الإسلامية هي:

تنشئة الإنسان تنشئة متكاملة شاملة لجميع جوانبه الجسمية والعقلية والوجدانية، على ضوء الوحيين والاجتهاد، لتحقيق أهداف الإسلام التربوية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية على حياة الفرد والمجتمع فتمنحه بذلك السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: أسس التربية الإسلامية:

تستند التربية الإسلامية إلى مجموعة من الأسس والركائز الرئيسية تشكل في مجملها المفهوم الشامل للتربية الإسلامية، ويمكننا أن نعرض هذه الأسس فيما يلي:

(1) التربية الإسلامية تربية تكاملية شاملة:

" فلا تقتصر على جانب واحد من جوانب شخصية الإنسان وإنما ترفض النظرة الثنائية إلى الطبيعة الإنسانية التي تقوم على التمييز بين العقل والجسم وسمو العقل على الجسم" ³⁹

فهي تعمل على تحقيق التوازن بين العناصر الثلاثة التي تتكون من مجموعها الشخصية الإيمانية: الجسم، العقل، الروح.

(2) التربية الإسلامية سلوكية عملية:

فهي لا تكتفي بالقول، وإنما تتعداه إلى العمل والممارسة فإذا نظرنا إلى الميادين الرئيسية التي بني عليه الإسلام نجد أنها تتطلب من المسلم سلوكاً عملياً.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } سورة العنكبوت (58).

(3) التربية الإسلامية تربية لفطرة الإنسان وإعلاء لغرائزه:

³⁸ نظرات في التربية الإسلامية، عز الدين، وبدر إسماعيل ص 34.

³⁹ التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسى ص 57 عالم الكتب، القاهرة.

تقوم التربية الإسلامية على التسليم بفطرة الطبيعة الإنسانية، وأن الإنسان يولد بطبيعة فطرية إنسانية محايدة...

والتربية الإسلامية تقيم هذه الفطرة على قاعدة الإيمان بالله وحده والإذعان له... لأن هذه الفطرة إذا سلمت من الشوائب والمؤثرات الخارجية توجه صاحبها إلى الإيمان بوجود الله تعالى، (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) الروم، الآية 30⁴⁰.

(4) التربية الإسلامية تربية إنسانية عالمية:

فهي بعيدة عن التعصب أو التمييز العرقي أو الاجتماعي فلا شعوبية في الإسلام، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى...⁴¹

" فالإسلام لم يحترم إنسانية الإنسان فحسب، وإنما احترم الإنسانية جمعاء أيًا كان دينها ومعتقداتها " ⁴².

(5) تربية فردية وجماعية معا :

تعمل التربية الإسلامية على إعداد الفرد إعدادا سليما في كل شيء وتعتبره مسؤولا عن تصرفاته وحياته، وتمنحه الحرية في كل الأمور ضمن الضوابط الشرعية التي أقرها الإسلام قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} سورة المدثر (38).

وهي مع ذلك تدعو الفرد ليكون اجتماعيا متفاعلا ومؤثرا في المجتمع الذي يعيش فيه. فكما أن الإنسان مسؤول عن نفسه فهو مطالب بالانتماء إلى الجماعة والتفاعل معها تفاعلا إيجابيا.⁴³

(6) التربية الإسلامية تربية مستمرة محافظة مجددة:

فهي تربية لا تنتهي بفترة زمنية معينة، ولا بمرحلة دراسية كلها، فهي تربية من المهد إلى اللحد، وهي تربية متجددة بالاستمرار تنمي شخصية الفرد وتثري إنسانيته، كما أنه تأخذ به إلى الأمام في طريق النمو والتقدم المستمرين.⁴⁴

⁴⁰ التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، عبد الرحمن النحلاوي، ص 90-91، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1305هـ / 1985م.

⁴¹ التربية الإسلامية، موسى مرسي، ص 73.

⁴² الطفولية في الإسلام، سليمان أحمد عبيدات، جمعية المطابع التعاونية، عمان، ط 1409هـ / 1989م. نقلا من الطفل في الشريعة الإسلامية ص 82.

⁴³ الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، ج 1 ص 21، دار المعمورة، ماليزيا، بهانج، ط 1، 1430 هـ - 2009 م من المكتبة الشاملة.

⁴⁴ أصول التربية الإسلامية، موسى منير مرسي، ص 37.

إنها " أصيلة بأصالة الإسلام، محافظة تقوم على مبادئ سامية وقيم عريقة وثابتة، ولكنها في نفس الوقت ليست جامدة، بل متجددة متطورة في ظل مبادئ الشرع الحنيف، والتربية الإسلامية قادرة على التكيف والتعامل مع التكنولوجيا الحديثة المعاصرة، حيث أن هذا الدين لا يمنع ذلك، بل يدعو إلى الاستفادة من كل ما يخدم هذا الدين ويفيد المسلمين والحكمة ضالة المؤمن وهو أحق الناس بها "45.

7) التربية الإسلامية تربية متدرجة:

إذا علمنا أن هدف التربية في الإسلام هو بلوغ الكمال الإنساني بالتدرج، وأن هذا التدرج صفة مميزة للتربية الإسلامية، علمنا كيف أن الإسلام يراعي الأحوال الفطرية والنفوس الإنسانية، وذلك أن التربية الأخلاقية تتأني للفرد بالتدرج، وقد كان الإسلام في بداية أمره تربية متدرجة للعرب... " نزل القرآن الكريم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منجما مفرقا على مدار ثلاث وعشرين سنة ولم ينزل دفعة واحدة، بل نزل حسب الأحداث والوقائع، يعالج المشاكل ويضع لها الحلول المناسبة كلما وقعت، وتدرجت تربية القرآن الكريم للأمة فلم يطالب الناس بكل الأحكام الشرعية دفعة واحدة، فكان التدرج في فرض الجهاد، وتحريم الخمر، وفرضت العبادات على مراحل ولم تفرض مرة واحدة، فكانت الصلاة في السنة العاشرة للبعثة في رحلة الإسراء والمعراج، وكان الصوم في السنة الثانية للهجرة بينما تأخر الحج إلى السنة التاسعة.. وهكذا "46. فقد نزلت آياته وأحكامه بالتدرج لفترة تزيد قليلا عن ثلاث وعشرين سنة.47

المطلب الثالث: أهداف التربية الإسلامية:

إن معرفة الهدف يجعل للعمل معنى ويعين له اتجاهها ويحدّد له الوسائل والطرق... وذلك أن الذي لا هدف له لا يعرف لذة العمل، ولا يتذوق طعم الحماس...

" وأهداف التربية هي اتجاهات يبحث عنها المربّون لتوجيه أولئك الذين يقعون تحت رعايتهم "48.

وقد كتب الذين ألفوا عن التعليم في الإسلام عن أغراض التعليم، ونقل عنهم المحدثون، وتناولوه في كتبهم أيضا عن أغراض وأهداف التربية الإسلامية...

45 الخلاصة في أصول التربية الإسلامية - ج 1 ص 23.

46 المصدر السابق، ج 1 ص 22.

47 انظر: التربية الإسلامية، موسى منير مرسى، ص 69.

48 فلسفة التربية، فليب هـ. فينكس، ترجمة وتقديم محمد ليبب النجيعي - دار النهضة العربية - القاهرة، لا: ط: 1965. نقلا عن الطفل في الشريعة الإسلامية، ص 73.

...وتجدر الإشارة هنا إلى أن " كلمة التربية بمفهومها الاصطلاحي من الكلمات الحديثة التي ظهرت في العصر الحديث... ولذا لا نجد استخداما في المصادر العربية القديمة؛ وما كانت تستخدمه هذه المصادر هي كلمات مثل: ((التعليم)) و ((التأديب)) و ((التهذيب))".⁴⁹

ويمكن القول بأن أهم أهداف التربية الإسلامية هو:

" معالجة الكائن البشري كلّهُ حتى تبلغ به إلى الكمال الإنساني، لأن الإسلام نفسه يمثل بلوغ الكمال الديني، فهو خاتم الأديان وأكملها".⁵⁰

ويمكننا أن نعرض أهداف التربية الإسلامية فيما يلي:

أولاً: تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة:

" فالتربية الإسلامية تعترف بالحاجات العضوية وتسعى إلى ضبطها وتوجيهها...وهي بهذا تقف موقفاً وسطاً بين دعاة التبتل والزهد وقمع دوافع الجسم الفطرية، ومن يريد إشباعها دون ضوابط".⁵¹

ثانياً: تنشئة الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه:

يقول الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) سورة الذاريات آية 56. وطريقة عبادة الله وخشيته إنما يكون بالعلم: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) سورة فاطر آية 28.

" والعلم هو سبيل التقوى الصحيحة إلى معرفة الله عز وجل ولذا حث الإسلام على العلم في طلبه وفضل أهله على غيرهم ورفعهم درجات..

ويتصل بذلك أيضاً دور الإنسان في تعمير الأرض، وتسخير ما أودعه الله فيها من ثروات لخدمة حياة الإنسان وتحقيق الخير للناس...".⁵²

ثالثاً: تربية ضمير الإنسان:

إن ضمير الإنسان هو الموجه لسلوكه والرقيب على أعماله...

وقد حرصت التربية الإسلامية على تربية هذا الضمير ليكون حياً يقظاً في السر والعلن، والرسول صلى الله عليه وسلم يضع أساساً لتربية الضمير المستجدة من الإيمان بالله فيقول: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).⁵³

⁴⁹ فلسفة التربية الإسلامية، علي خليل أبو العينين، ص 133، مكتبة إبراهيم حلي - المدينة المنورة، ط 2، 1305 هـ / 1985 م. عن الطفل في الشريعة الإسلامية، ص 73.

⁵⁰ أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص 24.

⁵¹ المرجع في مبادئ التربية، أحمد أبو هلال وآخرون، ص 483.

⁵² أصول التربية والثقافة والفلسفة، محمد منير مرسى، ص 27.

وتربية الضمير، تربية لإرادة الإنسان، بحيث يصبح متحكما في تصرفاته ولا يكون رهن نزواته وشهواته...⁵⁴

وبهذه التربية الإسلامية يتم " خلق الورع الداخلي الذي يجعل محاسبة الإنسان نابعة من ذات نفسه... " ⁵⁵

رابعاً: تقوية الروابط بين المسلمين ودعم تضامنهم:

" ويتم ذلك عن طريق ما تقوم به التربية الإسلامية من توحيد للأفكار والمشارب والاتجاهات والقيم بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها... " ⁵⁶

وهكذا تحقق التربية الإسلامية: التوازن بين الفرد والمجتمع، فكما ربّت الفرد تربية ذاتية، في الوقت نفسه يربي الفرد تربية اجتماعية، فالمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

المطلب الرابع: مصادر التربية الإسلامية:

لا بدّ للتربية من مصادر معينة تستقي منها، وركائز ثابتة تعتمد عليها في بنائها، وانطلاقاً من كون التربية الإسلامية نابعة في الأصل من الدين الإسلام الحنيف؛ فإنّ مصادرنا الأساسية في نفس مصادر هذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين.

" إنها لا تعتمد في توجيهها على الأهواء، أو الآراء في معزل عن الشرع إنما لها مصادر تحكمها، حتى تكون في حدود ما أنزل الله تعالى به وتحقيق مقاصد الشريعة، ويسعد من اتباعها في الدنيا والآخرة " ⁵⁷.

ولعلّ من يطالع كثيراً من الكتب والأبحاث والدراسات التربوية يجد أنّ هناك عدم اتفاق حول مصادر التربية الإسلامية كعلم من العلوم التي تدرج تحت مظلة العلوم التربوية:

فهناك من يسهب ويطنب في تعداد تلك المصادر، وهناك من يوجز ويختصر، وما ذلك بطبيعة الحال إلا نتيجة لتباين الاتجاهات واختلاف وجهات النظر ففيما يلي محاولة التوفيق بين وجهات النظر المختلفة في هذا الشأن:

أولاً: القرآن الكريم:

⁵³ رواه البخاري، في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل. ومسلم، باب بيان الإيمان والإسلام.

⁵⁴ روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، ص 173، دار العلم للملايين، بيروت، ط 17، 1982م. نقلاً عن طفل في الشريعة ص 80.

⁵⁵ فصول في تربية الشخصية الإسلامية، سعد الدين الجزائري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية العدد، 1387هـ / 1968م.

⁵⁶ التربية الإسلامية، محمد منير مرسى، ص 56.

⁵⁷ أصول التربية الإسلامية، د. خالد حامد الحازمي، ص 223، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط 3، 1426هـ - 2005م.

فهو كتاب الله العظيم الذي أوحاه جلّ شأنه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون منهج حياة ودستوراًمة، وهو المصدر الأول والرئيس لكل ما تحتاجه البشرية في مختلف المجالات العلميّة، وشتى الميادين المعرفيّة وفي كلّ جزئيات حياتها(مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) سورة الأنعام 38.

ثانياً: السنة النبوية المطهّرة:

هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي لكونها جاءت وحيا من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) النجم 4-3.

والسنة: هي ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.⁵⁸

والمعنى أن السنة في المجال التربوي تعني الطريقة أو الأسلوب أو المنهج التفصيلي، أو الكيفيّة التي تبيّن وتفصل كل جزئية في حياة الإنسان أو المجتمع المسلم.

وهذان المصدران الأساسيان قد اتفق عليهما الجميع...⁵⁹

ثالثاً: التراث الصحيح من منهج السلف الصالح:

" ويقصد بهذا التراث: مجموعة الآراء والأفكار والاجتهادات والنظريات، والتطبيقات والممارسات التربويّة التي صدرت عن المهتمين بالجانب التربوي من العلماء والفقهاء والمربين والمفكرين المسلمين عبر عصور الحضارة الإسلامية، على اعتبار أنّ التراث الإسلامي هو ما ورثناه من أباؤنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى، المعنويّة والماديّة " ⁶⁰

ونظراً لأن مجموع هذا التراث لا يخرج عن كونه اجتهادات بشريّة أملتّها الكثير من الظروف والعوامل المختلفة؛ فإنّ علينا ألا نقبل بكلّ ما جاء في هذا التراث على إطلاقه وإنّما نخضعه للنظر والتحقيق والدراسة فما كان منه صالحاً ومتفقاً مع كتاب الله العظيم، وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم قبلناه وأخذناه وعملنا به، وما كان مخالفاً لهما تركناه ورفضناه...

رابعاً: الصالح من الفكر التربوي القديم والحديث:

⁵⁸ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السماعي، ص 57، دار السلام، القاهرة، ط 3، 1427 هـ - 2006 م.
⁵⁹ تنبيه: وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك مفهوماً خاطئاً عند بعض الباحثين والكتاب في الميدان التربوي ؛ حيث إن منهم من يرى أن القرآن الكريم والسنة المطهّرة يُعدان من التراث الإسلامي وهذا غير صحيح أبداً ؛ لأنهما غير موروثين من زمن لزمان ، ولا من جيل لجيل ، ولكنهما جاءا لكل زمان ومكان . يُضاف إلى ذلك أن لفظة التراث كثيراً ما تُطلق على القديم البالي ؛ وهو ما لا ينطبق على القرآن الكريم والسنة النبوية فهما متجددان تجدد الليل والنهار ؛ ولا يُمكن أبداً إخضاعهما للمقاييس البشرية من حيث الانتقاء والاختيار ، والقدم والجدة . انظر: التربية الإسلامية علم ثنائي المصدر، د/ محمد بن علي أبو عرّاد، ص 10، المكتبة الشاملة.
⁶⁰ التراث والمعاصرة، أكرم ضياح العمري.

ويقصد بذلك مجموع الدراسات والأبحاث والملاحظات العلمية والطروحات الفكرية التربوية القديمة أو المعاصرة التي يمكن الاستفادة منها في معالجة القضايا والمشكلات التربوية المختلفة، ولا سيما أن المجال التربوي يعدّ متطوراً، متجدداً، وغير ثابت أو مستقرّ، فكان لا بد من الانفتاح المنضبط والإيجابي على مختلف المعطيات الحضارية القديمة أو المعاصرة، شرقية كانت أو غربية.⁶¹

"ورجوع المجتمع المسلم إلى مصادر الدين في تحديد فلسفة وأهداف التربية لا يمنعه من الرجوع إلى المصادر الفردية والاجتماعية والعلمية التي تذكرها عادة كتب التربية الحديثة في معرض حديثها عن مصادر الأهداف التربوية، والتي تتمثل عادة فيما كشف عنه الدراسات والأبحاث والملاحظات العلمية، من حاجات جسميّة وعقليّة وروحيّة ونفسية واجتماعية للفرد"⁶²

المبحث الثاني: الإيمان

تمهيد

إن الإيمان بالغيب من الخصائص المميّزة للإنسان عن غيره من الكائنات، ذلك أنّ الحيوان يشترك مع الإنسان في إدراك المحسوس، أمّا الغيب فإن الإنسان وحده المؤهل للإيمان به بخلاف الحيوان، ولذا كان الإيمان ركيزة أساسية من ركائز الإيمان في الديانات السماوية كلّها. فقد جاءت الشرائع بكثير من الأمور التي لا سبيل للإنسان إلى العلم بها إلاّ بطريق الوحي الثابت في الكتاب والسنة، كالحديث عن الله تعالى، وصفاته، وأفعاله، وعن السماوات السبع وما فيهن، وعن الملائكة، والنبیین، والجنّة والنّار، والشياطين والجن وغير ذلك من الحقائق الإيمانية الغيبية التي لا سبيل لإدراكها والعلم بها إلاّ بالخبر الصادق عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولذا كان من الأولى البداءة بهذا الجانب الأساسي في العمليات التربوية، والتوجيهات الإنسانية، والتعليمات الدينية، وإلاّ بقي الإنسان بلا شك في جهل عميق عمّا لا يقدر عقله الكشف عنه، وفي حيرة مستمرة عن نفسه، وخالقه، وعن الحياة ذاتها، ولظلّ في عناء دائم من هذه الفجوة المهملة... فيجهد في سدّها ولا يجدها إلاّ في الوحي الإلهي، أو يتجاهل عنها فيخيم عليه الروع والشك، ويحيط به الاشمئزاز والهلع، ولأجل ذلك كان من أعظم صفات المؤمنين التي وصفهم الله بها: الإيمان بالغيب، كما في قوله تعالى: {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)}

⁶¹ انظر: التربية الإسلامية علم ثانوي المصدر، ص 10،

⁶² فلسفة التربية الإسلامية، عمر محمد التومي الشيباني، ص 305.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) {
البقرة : 1 - 5.

وسوف أتناول في هذا المبحث قضايا تتعلق بالإيمان، فنرى مدى ارتباطه بالحياة والإنسان، والروح والجسد والعقل، ومناسبته للدين والدنيا.

المطلب الأول: التعريف بالإيمان.

أولاً: تعريف الإيمان لغة:

الإيمان لغة مصدر آمن، وهو مأخوذ من مادة (أ- م - ن) التي تدل على معنيين حسب الاستعمال هما:

- الأمانة التي ضد الخيانة

- والتصديق الذي هو ضد التكذيب.

والمادة أيضاً: الأمان وهو ضد الخوف.⁶³

أما الإيمان فضده الكفر، من التصديق بإجماع أهل العلم كما يقول ابن منظور. ولكن لشيخ الإسلام ابن تيمية⁶⁴ - رحمه الله تعالى - اختار معنى (الإقرار) للإيمان، فقال: " فكان تفسيره - أي الإيمان - بلفظ الإقرار؛ أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقاً " .

⁶³ انظر في ذلك: مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، ج 1 ص 133 - 125، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1411 هـ / 1991 م. والصاحح، لأبي نصر الجوهري، ج 2 ص 1524 - 1525، دار الفكر - بيروت، ط 1، 1418 هـ / 1998 م. ولسان العرب، لأبي الفضل ابن منظور، ج 13 ص 21 ودار الفكر، بيروت، ط 3، 1414 هـ / 1994 م.

⁶⁴ ابن تيمية (661 - 728 هـ = 1263 - 1328 م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الاسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، مات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين أفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه فربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، منها (الفتاوى) و (الايمان) و (منهاج السنة) و (رفع الملام عن الائمة الأعلام). انظر: الأعلام، للزركلي، ج 1 ص 144.

وقال أيضاً: " ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد ". و ردّ على من قال بأن الإيمان مرادف للتصديق وأورد على ذلك أدلة كثيرة يرجع لها في مجموع الفتاوى.⁶⁵

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:⁶⁶ " أكثر أهل العلم يقولون: أن الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظراً، لأنّ التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه، إلى أن قال: ولهذا لو فسّر الإيمان بالإقرار لكان أجود".⁶⁷

ثانياً: تعريف الإيمان شرعاً:

تحدث عن الإيمان اصطلاحاً طوائف عديدة من أهل العلم، من الفقهاء وأهل الحديث والمتكلمين والمفسرين وغيرهم، وقد تناول ذلك كل من العيني⁶⁸ والتهاوي⁶⁹، فقالا ما خلاصته:

معني الإيمان باعتبار عرف الشرع اختلف فيه أهل القبله على أربع فرق:

الأولى: الإيمان عمل القلب فقط.

الثانية: الإيمان عمل (إقرار) باللسان فقط، بشرط حصول المعرفة في القلب.

الثالثة: الإيمان عمل القلب واللسان، أي الاعتقاد الجازم، والإقرار بالشهادتين .

وقد نسب هذا إلى أبي حنيفة وعامة الفقهاء وبعض المتكلمين.

⁶⁵ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، ج 7 ص 636 - 637، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1423 هـ / 2002 م.

⁶⁶ ابن العثيمين (1347-1421هـ، 1928-2001م) محمد بن صالح بن محمد عثيمين التميمي، عالم وفقه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء. ولد في عنيزة بمنطقة القصيم. اتجه إلى طلب العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من العلماء المتخصصين منهم: الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي. والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. و الشيخ محمد المختار الحكني. تخرج العثيمين في كلية الشريعة بالرياض عام 1377هـ. نقلا عن : الموسوعة العربية العالمية <http://www.mawsoah.net>

⁶⁷ شرح العقيدة الواسطية، ص 90، دار بن الجوزي، القاهرة ط : 1325 هـ / 2004 م.

⁶⁸ بدر الدين العيني (762 - 855 هـ = 1361 - 1451 م). محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين . أصله من حلب ومولده في عينتاب. انظر: الأعلام للزركلي، ج 7 ص 163.

⁶⁹ التهانوي (000 - بعد 1158 هـ = 000 - بعد 1745 م) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: باحث هندي. له (كشاف اصطلاحات الفنون)، و (سبق الغايات في نسق الآيات) . الأعلام، 6، 295.

الرابعة: الإيمان فعل القلب واللسان وسائر الجوارح، وقد نسب القول بذلك إلى أصحاب الحديث ومالك⁷⁰ والشافعي⁷¹ والأوزاعي⁷² ...⁷³

وإذا بالتأمل والنظر نجد أنّ سبب الاختلاف في هذه التعريفات راجع إلى عدم الاتفاق على تحديد ما يدخل في مسمى الإيمان وما لا يدخل.

هذا، وقد دلّ على دخول الأعمال في مسمى الإيمان الكتاب والسنة في أكثر من موضع، وإجماع السلف.

فمن القرآن قوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ) البقرة : 143 .

أي صلاتكم وأنتم متوجهون لبیت المقدس قبل أن تؤمروا بالتوجه إلى الكعبة.

ومن السنة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ».⁷⁴

وقد حكى الإمام الشافعي - رحمه الله - إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على ذلك.

وقال الإمام الآجري⁷⁵ - رحمه الله - : " اعلّموا - رحمنا الله وإياكم - أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق؛ وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح. ثم اعلّموا: أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق؛ إلا أن يكون معه الإيمان باللسان

⁷⁰ هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المنتهين حتى قال البخاري أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر من السابعة مات سنة تسع وسبعين وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقال الواقدي بلغ تسعين سنة ع . انظر: تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر أبو العسقلاني، ص1 ص 516. دار الرشيد، سوريا، 1406 - 1986م.

⁷¹ هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب المطلي أبو عبد الله الشافعي المكي، نزيل مصر، رأس الطبقة التاسعة، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، مات سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة خت 4. انظر: تقريب التهذيب، ج1 ص 468.

⁷² هو: عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي أبو عمرو، الفقيه ثقة جليل، من السابعة، مات سنة سبع وخمسين ع . انظر: تقريب التهذيب، ج1 ص 347.

⁷³ انظر: موسوعة نضرة النعم، ج 3، ص 641 / 642.

⁷⁴ رواه البخاري في الإيمان، ج 9. ومسلم في الإيمان، ج 35 .

⁷⁵ الآجري هو: الإمام المحدث القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، صاحب كتاب الشريعة والأربعين، كان عالماً عاملاً صاحب سنة دينا ثقة توفي في محرم سنة ستين وثلاثمائة. انظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي، الطبقة الثانية عشر، ج1 ص 57.

نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطق باللسان؛ حتى يكون عمل بالجوارح؛ فإذا كملت فيه هذه الثلاث خصال: كان مؤمناً. دل على ذلك القرآن والسنة، وقول علماء المسلمين " 76.

وقال الحافظ ابن رجب⁷⁷: " والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخله في مسمى الإيمان... وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً". 78

المطلب الثاني: أركان الإيمان.

وهذه الأركان هي الركائز الأساسية التي يقوم عليها البناء الإيماني، وكلها تتعلق بأمور يعتقدونها المؤمن اعتقاداً جازماً بناء على ما ورده من خبر صادق بخصوصها، كما أن هذه الأركان متفق عليها بين جميع الأديان المنزلة من عند الله تعالى، حيث دعا كل رسول قومه للإيمان كما قال الله تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الشورى : 13.

ولا يصح إيمان المسلم إلا باعتقاده الجازم لجميع هذه الأركان اعتقاداً صحيحاً بعيداً عن الشك.

وهذه الأركان ستة، وهي كما جاء في حديث جبريل المشهور:

« أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». 79

شرح الأركان:

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري⁸⁰ - رحمه الله:-

⁷⁶ كتاب الشريعة، للآجري، ص 115، المكتبة الشاملة .

⁷⁷ ابن رجب الحنبلي (736 - 795 هـ، 1336 - 1393 م)، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الواعظ. الإمام الحافظ، المحدث، الفقيه، ولد في بغداد وسمع من أبي الفتح الميمني. له مصنفات عديدة، منها: شرح الترمذي؛ شرح علل الترمذي؛ طبقات الحنابلة؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري لم يتمه؛ وجامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، وغيرها. نشأ وتوفي بدمشق. نقلاً من : الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia.

⁷⁸ . جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي 36 دار الفكر - بيروت ط الأولى 1424 هـ - 2003 م

⁷⁹ رواه الستة، واللفظ لمسلم في الإيمان، باب مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْقَدْرِ وَعَلَامَةُ السَّاعَةِ ح 102. ولأبي داود في باب في الْقَدْرِ.

⁸⁰ هو: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد في قرية ليرة جنوب بلاد الجزائر عام 1921م، وفي بلدته نشأ. ارتحل مع أسرته إلى المدينة المنورة، حصل على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس في المسجد النبوي. فأصبحت له حلقة يدرس فيها تفسير القرآن الكريم، والحديث

" المسلم يؤمن بالله تعالى، بمعنى أنه يصدّق بوجود الرّب تبارك وتعالى، وأنه عزّ وجلّ فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ربّ كلّ شيء ومليكه لا إله إلّا هو، ولا ربّ غيره ... وأنه عزّ وجلّ موصوف بكلّ كمال، منزّه عن كلّ نقص، ويؤمن بربوبيّته لجميع العالمين... والمؤمن يؤمن أيضا بما لله تعالى من أسماء حسنى وصفات عليا...

ويؤمن المسلم بملائكة الله تعالى، وأنهم خلق من أشرف خلقه، وعباد مكرّمون من عباده، خلقهم من نور ... وأنه تعالى وكلّهم بوظائف... فمنهم الحفظة على العباد، والكتابون لأعمالهم، ومنهم الموكّلون بالجنة، ونعيمها ومنهم الموكّلون بالنار وعذابها، ومنهم المسبّحون الليل والنهار.

ويؤمن المسلم بجميع ما أنزل الله تعالى من كتاب، وما أتى بعض رسله من صحف، وأنها كلام الله أوحاه الله إلى رسله ليبلغوا عنه دينه وشرعه، وأن أعظم هذه الكتب الأربعة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والتوراة المنزل على نبي الله موسى عليه السلام والإنجيل المنزل على نبي الله عيسى عليه السلام، والزبور المنزل على نبي الله داود عليه السلام.

ويؤمن المسلم بأن الله تعالى قد اصطفى من الناس رسلا وأوحى إليهم بشرعه، وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجّة الناس عليه سبحانه، وأيدهم بالمعجزات ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور... وأنهم وإن كانوا بشرا يجري عليهم الكثير من الأعراض البشرية... فهم أكمل خلق الله علما إطلاقا وأخلصهم بلا استثناء...

ويؤمن المسلم بأنّ لهذه الحياة الدنيا ساعة أخيرة تنتهي فيها، ويوما آخر ليس بعده من يوم، ثم تأتي الحياة الثانية في الدار الآخرة، فيبعث الله تبارك وتعالى الخلائق بعثا ويحشرهم إليه جميعا ليحاسبهم فيجزى الأبرار بالنعم المقيم في الجنّة، ويجزي الفجار بالعذاب المهين في النار.

وأنه يسبق هذا أشرط الساعة وأماراتها كخروج المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك... ثم ينفخ في الصور نفخة الفناء والصحف، ثم نفخة البعث والنشور...⁸¹.

والإيمان باليوم الآخر هو: "الإيمان بكل ما أخبر به الله - عز وجل - في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، نعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصرط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعا".⁸²

ومعنى الإيمان بالقدر هو: كما قال الإمام النووي⁸³ - رحمه الله - :

"ومعناه: أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة، على صفات مخصوصة على حسب ما قدرها سبحانه... وقال الخطابي⁸⁴: قد يحسب كثير من الناس أنّ معنى القضاء والقدر: إجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدّم علم الله بما يكون من اكتساب العبد، وصدور ذلك عن تقدير منه وخلق لأعماله خيرها وشرها...".⁸⁵

المطلب الثالث: مراتب الإيمان.

علمنا ممّا سبق أنّ الإيمان: اعتقاد، وقول، وعمل، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأهله متفاوتون فيه على حسب أعمالهم وعلمهم...

⁸¹ انظر: منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، ص 13 - 46، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 6، 1419هـ / 1998م.
⁸² الإيمان أركانه حقيقته نواقضه د. محمد نعيم ياسين ص ؟ ط السادسة 1419 هـ - 1998 م. نقلا من موسوعة النضرة ج 3 ص 644.

⁸³ النووي، أبو زكريا (631 - 676هـ، 1234 - 1278م). محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي. كان إماماً بارعاً حافظاً أماراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، تاركاً للملذات ولم يتزوج. اتقن علومًا شتى. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، ومن تصانيفه: تهذيب الأسماء واللغات، والمنهاج في شرح مسلم، التقریب والتيسير في مصطلح الحديث، الأذكار، رياض الصالحين، المجموع شرح المذهب، الأربعون النووية وغيرها. نقلا عن: الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia
⁸⁴ الخطابي الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف. ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة. وسمع من: أبي سعيد بن الاعرابي بمكة، ومن إسماعيل بن محمد الصفار وطبقته، وغيرهما، وممن حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم وهو من أقرانه في السن والسند، من مؤلفاته: شرح السنن، وغريب الحديث، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة. انظر: السير، ج 17 ص 23.
⁸⁵ شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ج 1 ص 154، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2.

فإذا تقرّر هذا علمنا أنّ للإيمان حدّا أدنى من أخلّ به ذهب إيمانه...

فمراتب الإيمان عند أهل السنة والجماعة كالآتي:

المرتبة الأولى:

أصل الإيمان، ويسمّى أيضا مطلق الإيمان، أو الإيمان المجمل.

وهذه المرتبة من الإيمان غير قابلة للنقصان، لأنّها حد الإسلام، والفاصل بين الكفر والإيمان، وهذا النوع واجب على كل من دخل دائرة الإيمان، وبه تثبت الأحكام الشرعية.

وهذه المرتبة لا يشترط فيها وجود العلم التّام بالإيمان.

المرتبة الثانية:

الإيمان الواجب، أو الإيمان المفصل، أو الإيمان المطلق، أو حقيقة الإيمان وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة (أصل الإيمان).

ويكون صاحبها ممن يؤدّي الواجبات ويتجنّب الكبائر والمنكرات، ويلتزم بكلّ تفصيلات الشريعة، تصديقا والتزاما، وعملا ظاهرا وباطنا حسب استطاعته، وبقدر ما يزيد علمه وعمله يزداد إيمانه.

وإذا ارتكب بعض الصغائر يكفّر عنه حسناته، واجتنابه للكبائر. وصاحب هذه المرتبة موعود بالجنة بلا عذاب، وينجو من الدخول في النار؛ إذا مات على ذلك.

المرتبة الثالثة:

الإيمان المستحب، ويسمى أيضا الإيمان الكامل بالمستحبات.

وهذه المرتبة بعد مرتبة (الإيمان الواجب)، وهي مرتبة الإحسان، وصاحبها لا يكتفى بعمل الواجبات وترك المنكرات بل يضيف إلى ذلك فعل المستحبات، واجتناب المكروهات والمتشابهات، بقدر ما يسر الله له ذلك، وتفاوت أهل هذه المرتبة بقدر تفاوتهم بالعلم والعمل.⁸⁶

المطلب الرابع: الإيمان والإسلام.

اختلف أئمة أهل السنة والجماعة في مسمى الإسلام والإيمان على قولين:

هل هما بمعنى واحد؟ أم أنّ أحدهما غير الآخر؟

والمتنبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجد أن اسم الإيمان تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإيمان، وتارة يذكر مقرونا به، وكذلك العكس؛ فإنهما أحيانا بمعنى واحد فهما مترادفان، وتارة يراد من أحدهما معنى مغاير بمعنى الآخر فيكونان متغايرين.

والذي عليه أكثر العلماء⁸⁷ أن مسمى الإسلام غير مسمى الإيمان، وبينهما فرق، فباعتبار الحقيقة اللغوية يفترق الإسلام والإيمان، وباعتبار الحقيقة الشرعية يتضمن الإيمان الإسلام: لأنّ بينهما تلازما في الوجود، فكل واحد منهما مكمل للآخر بحيث لا ينفكان عن بعضهما، وأنهما إذا اجتمعا اختلفا في مدلولهما، وإذا افترقا اجتمعا في مدلولهما.

وأنّه إذا وجد أحدهما في نصّ دون الآخر فهو لازم له، وإذا اجتمعا في نصّ واحد فكلّ منهما يفسر بمعناه المذكور. قال تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } الحجرات : 14.

وهذا على أنّه إذا قرن لفظ الإسلام والإيمان في نصّ مثل هذا، فيراد بالإسلام الأعمال الظاهرة من العبادات (الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج...) أي الاستسلام لله سبحانه بالعمل والخضوع والانقياد له.

⁸⁶ انظر الإيمان حقيقته خوارمه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ص 27 - 29. من المكتبة الشاملة. و مكتبة صيد الفوائد.

⁸⁷ انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج 7 ص 5 - 15، مؤسسة الرسالة، بيروت ط 1، 1423 هـ - 2002 م. و شرح العقيدة الطحاوية، ص 286. و الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه ص 47 - 49.

ويراد بالإيمان: الاعتقادات الباطنية، وهي (الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره) أي تصديق القلب وإقراره ومعرفته.

وإذا افترقا في نصّ اجتماع، فيشمل كلّ واحد منهما: الدين كلّ، من أصوله وفروعه، من منقاداته وأفعاله الظاهرة والباطنية.

فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين: إحداهما من الأخرى...

إذ لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له.

و لا يخلو المسلم من إيمان يصلح به إسلامه، ولا يخلو المؤمن من إسلام به يحقق إيمانه.

وبهذا التفصيل يحصل الجمع بين الأدلة، وهذا القول الوسط به تجتمع النصوص الشرعية.

ويمكن القول إنّ الخلاف بين السلف في المسألة خلاف لفظي يسير لأنّ الجميع متفقون على أنّ العمل يدخل في مسمّى الإيمان، وأنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية... وأنهم لا يخرجون أهل المعاصي من الإيمان إلى الكفر، وإذا أخرجوهم من الإيمان إلى الإسلام، فلم يقولوا إنّهم لا يبقى معهم شيء من الإيمان، بل يبقى معهم أصل الإيمان.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان

الإيمان الصحيح الصادق له من الفوائد والثمرات العاجلة والآجلة في حياة الدنيا وفي الآخرة ما يجعله أولى بالاهتمام من كلّ شيء، ومنها:

أولاً: أنّ أهل الإيمان يغتبطون بولاية الله تعالى. قال الله تعالى: { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } البقرة : 257.

ثانياً: أهل الإيمان ينعمون بالحياة الطيبة، قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً } النحل : 97.

ثالثاً: أهل الإيمان يحبهم الله تعالى، ويحبهم المؤمنون، قل تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } مريم : 96.

رابعاً: أهل الإيمان لهم البشرى في الحياة الدنيا، قال الله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} يونس : 62 – 64.

خامساً: أهل الإيمان يجدون التسلية من إيمانهم عند المصائب، قال الله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} التغابن : 11.

سادساً: أهل الإيمان هم أهل الأمن والاطمئنان قال تعالى في معرض الحكاية عن قصة إبراهيم وقومه: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} الأنعام : 81.

سابعاً: أهل الإيمان يهرعون إلى إيمانهم ويتقون به في كل ما يعترهم من خير وشر وطاعة ومعصية... قال الله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران : 173.

ثامناً: أهل الإيمان ينتفعون من المواعظ والتذكير، قال تعالى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} التوبة : 124.

تاسعاً: أهل الإيمان في معية الله، قال تعالى : {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} الأنفال : 19.

عاشراً: أهل الإيمان يحفظهم إيمانهم من الوقوع في الفواحش، قال تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف : 24.

الحادي عشر: أهل الإيمان وعدهم الله بالتمكين والنصر، قال تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} الروم : 47.

الثاني عشر: أهل الإيمان هم أهل العزة والكرامة، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} المنافقون : 8.

وغير ذلك من ثمرات شجرة الإيمان المباركة التي لا تكاد تمضي على المؤمن زمن قليل حتى يجني ثمرة من ثمراتها، وتبلغ الثمرة كمالها ونضجها، إذا كان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أحبّ إليه ممّا سواهما، ويصبح العبد يحبّ ويبغض لله... نسأل الله أن يرزقنا حلاوة الإيمان...⁸⁸.

المطلب السادس: زيادة الإيمان ونقصانه.

إنّ هذا الإيمان يتأثر بالظروف والأحوال والملابسات والأجواء المحيطة به وبصاحبه... صحيح أنه يرسخ في قلب صاحبه ويثبت ويبقى قويًا حيًا لكن هذا يطلب من صاحبه أن يكون معه، وأن يكون له، وأن يعيش حياته به، يطلب من صاحبه أن يخدمه وأن يساعده، وأن يتعاهده باستمرار، وأن يحرسه باستمرار، وأن يبعد عنه الأمراض والآفات التي تضربه.

وقد وردت نصوص في كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرّر هذه الحقيقة، وتشير إليها، وتواردت أقوال علماء السنة عليها، منها :

1 - قول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} { الأنفال : 2.}

2 - وقول الله تعالى: { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } آل عمران : 173.

3 - ومن الأحاديث ما رواه مسلم في كتاب الإيمان عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »⁸⁹ معناه - والله أعلم- أقله ثمرة.

4 - ومنها ما رواه البخاري⁹⁰ - رحمه الله - في صحيحه عن أبي سعيد الخدري⁹¹ ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ

⁸⁸ انظر: الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص 105-108.

⁸⁹ صحيح مسلم، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان .

⁹⁰ البخاري، أبو عبد الله (194 - 256 هـ ، 810 - 870 م). محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله. الإمام الحافظ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. ولد في بخارى ونشأ يتيمًا. قام برحلة طويلة في طلب العلم. وكان آية في الحفظ وسعة العلم والذكاء. وله : الصحيح الجامع، والتاريخ، والضعفاء في رجال الحديث، والأدب المفرد. توفي في خرتك. الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia.

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ ، أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفَرَاءَ مُلْتَوِيَةً ».⁹²

وقال الإمام أبو زرعة الرازي⁹³ رحمه الله (ت 264هـ):

(الإيمان عندنا قول وعمل؛ يزيد وينقص، ومن قال غير ذلك؛ فهو مبتدع مرجئ)⁽⁹⁴⁾.

وقال الإمام ابن جرير الطبري⁹⁵ رحمه الله (ت 310هـ):

(أما القول في الإيمان هل هو قول وعمل، وهل يزيد وينقص، أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مضى أهل الدين والفضل)⁽⁹⁶⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت 728هـ):

(ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)⁽⁹⁷⁾.

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي⁹⁸ رحمه الله (ت 792هـ):

(اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه⁹⁹، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل

⁹¹ هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة واستصغر بأحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين ع. انظر: تقريب التهذيب، ج 1 ص 232.

⁹² صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ فِي الْأَعْمَالِ.

⁹³ أبو زرعة الرازي (200 - 264 هـ = 815 - 878 م)، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أبو زرعة الرازي: من حفاظ الحديث، الأئمة. من أهل الري. زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل. كان يحفظ مئة ألف حديث. توفي بالري. له "مسند". انظر: الأعلام، ج 4 ص 194.

⁽⁹⁴⁾ طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، ج 1 ص 203.

⁹⁵ ابن جرير الطبري (224 - 310 هـ = 839 - 923 م)، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، له: أخبار الرسل والملوك، وجامع البيان في تفسير القرآن وغيرهما. وهو من ثقات المؤرخين. وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً. الأعلام، ج 6 ص 69.

⁽⁹⁶⁾ صريح السنة، لابن جرير الطبري، ص 25، تحقيق بدر بن يوسف المعتوق.

⁽⁹⁷⁾ مجموع الفتاوى، ج 3 ص 151.

⁹⁸ ابن أبي العز (731 - 792 هـ = 1331 - 1390 م). العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الدمشقي ولد سنة 731. اشتغل بالعلوم، وكان ماهراً في دروسه وفتاويه، له شرح العقيدة الطحاوية، وكانت وفاته بدمشق. انظر: مقدمة ط المكتب الإسلامي لشرح الطحاوية، والأعلام للزركلي ج 4 ص 313.

⁹⁹ إسحاق ابن إبراهيم ابن مخلد الحنظلي أبو محمد ابن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد ابن حنبل، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته ببسبر، مات سنة ثمان وثلاثين وله اثنتان وسبعون م د ت س. تقريب التهذيب، ج 1 ص 99.

الظاهر، وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان وعمل بالأركان¹⁰⁰.

وتفاضل أهل الإيمان في الأعمال ناتج عن تفاضلهم في الإيمان، فليسوا جميعاً على مستوى واحد من الإيمان.

فمن زادت إيمانه زادت أعماله وحسناته ومن نقص إيمانه نقصت حسناته، ووقع في السيئات، وهذا نظراً للمعاصي التي فعلها فيعذب في النار، لكنه لا يخل فيها لما عنده من إيمان.

قال شيخ الإسلام في كتاب العبودية: " إذا تبين ذلك، فمعلوم أنّ الناس يتفاضلون في هذا الباب تفاضلاً عظيماً، وهو تفاضلهم في حقيقة الإيمان، وهم ينقسمون فيه إلى عام وخاص، ولهذا كانت ربوبية الرب لهم فيها عموم وخصوص... ولهذا كان الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل " ¹⁰¹.

وقال البخاري في كتاب الإيمان: " بَابُ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى { وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } { وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا } وَقَالَ: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ الْكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ. " ¹⁰².

ونقل ابن حجر ¹⁰³ في الفتح قول البخاري: " لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أنّ الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص... " ¹⁰⁴

ولخص النووي قول السلف في هذا الموضوع فقال:

¹⁰⁰ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص 271، المكتبة التوقيفية، القاهرة لا ط.

¹⁰¹ العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 87، المكتب الإسلامي، دمشق، ط 5، 1399 هـ.

¹⁰² ج 1، ص 32.

¹⁰³ ابن حجر العسقلاني (773هـ - 852هـ، 1372م - 1448م). شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد، العسقلاني، الشافعي. صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. عالم محدث فقيه أديب ولع بالأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير. أما تصانيفه فكثيرة جداً منها: فتح الباري في شرح صحيح البخاري؛ الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، تقرير التهذيب. انظر: الأعلام،

ج 1 ص 178. و الموسوعة العربية العالمية <http://www.mawsoah.net>

¹⁰⁴ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج 1 ص 96.

" فإذا تقرر ما ذكرناه من مذهب السلف وأئمة الخلف فهي متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص، وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين... وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه... " ¹⁰⁵

نأخذ من هذه الآيات والأحاديث- وغيرها كثير- وأقوال السلف، أن الإيمان يزيد وينقص.

فالقرآن صرح بزيادة الإيمان، ولم يتحدث عن نقصانه، ولكن يستدلّ من الآيات على نقصان الإيمان، ولهذا يقول ابن حجر في فتح الباري: « ثم شرع المصنف يستدلّ لذلك بآيات من القرآن مصرّحة بالزيادة وبثبوتها يثبت المقابل، فإنّ كلّ قابل للزيادة قابل للنقصان بالضرورة » ¹⁰⁶

كما يقرر ذلك الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرح العقيدة الواسطية، فيقول: " وأما النقص فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم وعظ النساء وقال لهن: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » فأثبت نقص الدين، ثمّ لو فرض أنه لم يوجد نص في ثبوت النقص؛ فإنّ إثبات الزيادة مستلزم للنقص، فنقول: كلّ نقص يدلّ على زيادة الإيمان، فإنّه متضمن للدلالة على نقصه " ¹⁰⁷

ولا شك أنّ لهذه الزيادة والنقصان أسبابا واقعيّة، نذكر منها ما يأتي على سبيل الإجمال:

1/ أسباب زيادة الإيمان:

أ - معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.

ب - النظر في آيات الله الكونية والشرعية.

ج - كثرة الطاعات.

2 / أسباب نقصان الإيمان:

أ - الجهل بأسماء الله وصفاته.

ب - الإعراض عن التفكير في آيات الله الكونية والشرعية.

¹⁰⁵ شرح النووي لصحيح مسلم، ج 1 ص 148.

¹⁰⁶ فتح الباري ج 1 ص 96 .

¹⁰⁷ شرح العقيدة الواسطية، الشيخ محمد الصالح العثيمين، ص 594، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1425 هـ / 2005 م.

المطلب السادس: مميزات العقيدة الإسلامية.

إنّ هذه العقيدة هي العقيدة التي ارتضاها الله لنا وأنعم بها علينا، قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } المائدة : 3.

وهي من ثمّ منهج الحياة الصحيح الذي رسمه الله لنا لنفوز بخير الدنيا والآخرة ولنكون محققين لشروط الخلافة التي خلقنا الله من أجلها، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } البقرة : 30.

ولنقوم بعمارة الأرض على الوجه الذي أراده الله { هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } هود : 61.

في حدود عبادة الله التي هي غاية الوجود الإنساني كلّهُ { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات : 56.

وهذه الصورة المجملّة تعطينا لمحة عن مميزات هذه العقيدة، هي كثيرة ومتنوّعة، نذكر منها:
أولاً: أنّها ربّانية من عند الله: وأنّها لم تتغيّر ولم تتبدّل، وهذا يطمئن النفس أنها خير لأنفسنا، وأنّ السعادة تكمن في تنفيذها، وأنّ الشقاوة تترتّب على تركها.

ثانياً: أنّها ثابتة: قال الله تعالى: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } الجاثية : 18.

إنّها شريعة واحدة هي التي تستحقّ هذا الوصف، وما عداها أهواء منبعاها الجهل.

فحركة الإنسان وتطور الحياة ينبغي دائماً أن يكون داخل إطار هذه العقيدة وحماها.

¹⁰⁸ فتاوي أركان الإسلام، الشيخ محمد صالح العثيمين، ص 86، جمع وترتيب فهد بن ناصر إبراهيم اليلمان، دار الثريا، الرياض، ط 1، 1421 هـ.

ثالثاً: أنها فطرية: إنّ العقيدة الإسلامية ليست غريبة عن الفطرة السليمة ولا مناقضة لها، بل هي على وفاق تام، وانسجام كامل، وليس هذا الأمر الغريب، إذ إنّ خالق الإنسان العليم بحاله هو الذي شرع له من الدين ما يناسب فطرته التي خلقه عليها وسيأتي قريباً – إن شاء الله – بيان هذه الحقيقة في المبحث التالي.

رابعاً: أنها واضحة: فلا غموض فيها ولا تعقيد، فهي تتلخّص في أنّ لهذه المخلوقات إلهاً واحداً مستحقاً للعبادة وهو الله تعالى، { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَى تُؤْفَكُونَ } فاطر : 3.

خامساً: أنها شاملة وصالحة لكل زمان ومكان وأمة وحال: فليست متصفة بالمحدودية، ولا بالقصور، { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } سبأ : 28.

سادساً: أنها سالمة من الاضطراب والتناقض: فلا يمكن أن يرد إليها شيء من ذلك، فالحق لا يضطرب ولا يتناقض، بل يشبه بعضه بعضاً { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } فصلت : 42.

سابعاً: أنها متوازنة : مع شمول هذه العقيدة وترابطها فهي تتسم أيضاً بالتوازن.

ويبدو هذا التوازن كذلك على مجموعة من المحاور المختلفة ومجموعة من المجالات:

1- توازن بين الروح والجسد أو عالم المعنويات وعالم الحس.

2- توازن بين عالم الغيب وعالم الشهادة.

3- توازن بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.

1 -توازن بين جوانب الحياة المختلفة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلخ.¹⁰⁹

ثامناً: أنها عقيدة توفيقية مبرهنة: لا تكتفي من تقرير قضايا الإيمان بالالتزام المجرّد والتكليف الصارم، ولا تقول كما تقول بعض العقائد الأخرى " أغمض عينيك ثم اتبعني " أو "

¹⁰⁹ الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، علي بن نايف الشحود، ج1 ص 57، ماليزيا بهانج- دار المعمور ط1، 1430 هـ - 2009 م.

أمن ثم اعلم" , بل يقول كتابها بصراحة: { أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } النمل : 64.¹¹⁰

تاسعا: أنها عقيدة الألفة والاجتماع: فهي تدعو بالحاح إلى المودة , وحسن الصحبة , والإيثار

فَعَنْ أَنَسٍ- رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »¹¹¹

المبحث الثالث: أهمية التربية الإيمانية.

تلعب التربية الإيمانية دورا هاما في حياة الفرد والجماعة، والأمم والشعوب، والمجتمعات والدول في كافة النواحي والمستويات، المتقدمة منها والنامية. وقد برزت أهميتها في رفع قيمة الفرد وقدراته الشخصية، وفي تطوير جهود الدول والجماعات إلى درجات عالية وآفاق واسعة. و قد جعلت أهم الجوانب التي تبدو فيها أهمية التربية الإيمانية في خمسة مطالب:

المطلب الأول: التربية الإيمانية المقصودة.

إذا استطعنا أن نعرف حقيقة التربية الإيمانية التي قصدناها هنا؛ استطعنا بعد ذلك أن نلمس قيمتها وفضلها.

" وذلك لأن نظرة بعض المسلمين إلى الإيمان نظرة خاطئة وفهمهم له فهم مشوش، وتعاملهم معه تعامل بارد، وصلتهم به صلة جامدة... ومن ثم لا يوجدون الإيمان كما يريد الله، ولا يعيشون كما يريد الله. الإيمان عند هؤلاء هو المعرفة، المعرفة الذهنية، الإيمان عندهم هو التصديق، التصديق الذي لا يعد أن يكون فكرا أو رأيا أو نظرا أو فلسفة.

أما ثمار المعرفة وآثار التصديق، فهذا ما يعتبرونه خارجا عن دائرة الإيمان.

¹¹⁰ انظر: الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، علي نايف الشحود، دار المعمورة، ماليزيا بهانج، ط 1، 1430هـ / 2009م. وانظر: عقيدة أهل السنة والجماعة مفهومها خصائصها خصائص أهلها، محمد بن إبراهيم، ص 18 - 42، دار بن خزيمة، الرياض، ط 3، 1419هـ / 1998م.

¹¹¹ رواه البخاري، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. و مسلم، باب الدليل على أن من خصال الإيمان.

الإيمان عند البعض، مشاعر، وعواطف، وانفعالات، وسبحات فكر وخطرات خيال، ورؤى نفس...

إيمان سلعة له أماكن خاصّة، وأجواء خاصّة، وأناس مخصوصون... وهؤلاء بزعمهم الإيمان الربّاني لا يختلفون كثيرا عن الأعراب في قوله تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } الحجرات : 14.

إنّ الإيمان الذي يريده الله هو الإيمان الحيّ الفاعل ... المؤثر النامي هو الإيمان القائد الموجّه، الإيمان الذي ينفع صاحبه هو الإيمان الذي يغرس في قلبه فينمو ويزدهر وينير ويضيء ...

الإيمان الذي عاشه المؤمنون الصادقون العاملون، من الأنبياء والأولياء الصالحين هو الذي تنتج عنه الأعمال، ويضبط به السلوك، ويصلح به الواقع، وتستقيم به الحياة...¹¹²

- فالتربية الإيمانية هي تلك التربية التي تعلّق القلب بالله وتخلّصه من عوالم الدنيا وزخرفها، وقوتها وحولها إلا بالله ...
- التربية الإيمانية هي تلك التربية التي تطهّر القلب وتزكّيه، فلا يكون له تعلّق بمال أو جاه أو سلطان أو رفعة أو مكانة ...
- التربية الإيمانية هي التي ترسم على خدّ المخلص خطين أسودين من حرارة دمع الخضوع واللجوء لله عزّ وجلّ.
- التربية الإيمانية هي التي تكبح النفس عن جماع شهواتها ولذاتها ... إنّها التربية التي تعني أكثر ما تعني: بإصلاح القلب واستقامته، وتحقيق عبودية القلب لله تعالى، فإن صلاح القلب من لازمه صلاح السلوك، « ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كلّ، ألا وهي القلب » متفق عليه¹¹³

¹¹² انظر: في ظلال الإيمان، د / صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 64، دار القلم، دمشق، ط 3، 1415 هـ - 1994 م.

¹¹³ رواه البخاري في الإيمان باب من استبرأ لدينه ح 52 . ومسلم في المساقاة ح 1599.

المطلب الثاني: التربية الإيمانية نعمة إلهية.

الإيمان نعمة جليلة، ومنحة ربّانية حبيبة، وفيض إلهي غامر، ونور هادئ مضيء ... هذه النعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، ولا يحس بها إلا من عاشها...

الإيمان يحوّل الحياة كلّها إلى جنة خضراء، كأنّما الإنسان في بستان تجري من حوله الأنهار، وتزيّنه الأنهار، يستمتع بظلالها أشجار، ويتناول لقطف تلك الثمار، كأنّه مامسه من ضرّ، ولا لقي في هذه الحياة من عناء، كما قال صلى الله عليه وسلم: « عجا لأمر المؤمن إن أمره كلّ له خير، إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، وليس ذلك لأحد إلاّ المؤمن»¹¹⁴

لم يفهم الأعراب زمن رسول الله صل الله عليه وسلم هذه الحقيقة عندما أسلموا فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتنون عليه إسلامهم...

روى ابن كثير¹¹⁵ في تفسيره عن ابن عباس¹¹⁶ - رضي الله عنهما - قال: جاء بنو سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله أسلمنا، وقاتلتك العرب، ولم نقاتلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ فقههم قليل وإنّ الشيطان ينطق على ألسنتهم ... » الحديث¹¹⁷ وأنزل الله قوله: { يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الحجرات : 17.

إنّ الله يريد أن يعلم الناس هذه الحقيقة، وأن يرشدهم إلى وجه الصواب في هذه المسألة ... لنن أسلموا وآمنوا فإنهم لن ينفعوا الله سبحانه بهذا، وإن كفروا فإنهم لن يضرّوا الله سبحانه بهذا.

¹¹⁴ رواه مسلم في كتاب الزهد , ج 2999 عن صهيب.

¹¹⁵ ابن كثير القرشي (700 - 774 هـ). عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، وسمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الأمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها. ترك مؤلفات كثيرة قيمة منها: البداية والنهاية في التاريخ. توفي ابن كثير بعد أن كفّ بصره، ودفن في دمشق. انظر:

الأعلام, ج 1 ص 320. و الموسوعة العربية العالمية <http://www.mawsoah.net>

¹¹⁶ هو عبدالله ابن عباس ابن عبدالمطلب ابن هاشم ابن عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه. مات سنة ثمان وستين بالطائف. ت قريب التهذيب, ج 2 ص 309.

¹¹⁷ تفسير القرآن العظيم, الحافظ إسماعيل بن كثير, ج 4 ص 2185, جمعية إحياء التراث الإسلامي, الكويت ط 5, 1429 هـ / 2008 م.

ولهذا كم كان الأنصار فقهاء وعلماء عظماء عند ما اعترفوا بالمنة والفضل لله سبحانه، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد غزوة حنين وتوزيع الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن وثقيف على المؤلفة قلوبهم، إذ لم يعط الأنصار منها شيئاً، وكان بعضهم وجد في نفسه شيئاً، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمس هذا عندهم، فدعاهم إلى لقاء خاص، خاطب فيه الإيمان في قلوبهم خطاباً نبوياً مؤثراً... واستل ما في قلوبهم من نزعات الشيطان استللاً حكيماً عجبياً، قاموا بعد ذلك وقد تجدد إيمانهم وزاد زيادة عظيمة.¹¹⁸

قال سيد قطب¹¹⁹ - رحمه الله - :

" إنَّ الإيمان هو كبرى المنن التي ينعم بها الله على عبد من عباده في الأرض، إنه أكبر من منة الوجود الذي يمنحه الله ابتداءً لهذا العبد، وسائر ما يتعلّق بالوجود من آلاء الرزق، والصحة، والحياة، والمتاع، إنها المنّة التي تجعل للوجود الإنساني حقيقة مميزة، وتجعل له في نظام الكون دوراً أصيلاً عظيماً" اهـ.¹²⁰

ولهذا كان حقاً على كل رشيد استعظام هذا الأمر، ومقابلته بالشكر والغبطة والسرور { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } الأعراف : 43.

المطلب الثالث: التربية الإيمانية غاية دينية.

إنّما جاء الدين ليصلح حياة الإنسان، ويحفظ فضله، ويحرس قيمته، الدين يرحم المرء ويزكيه ويرعاه... إنه يهديه إلى ربّه، ويُعدّ له آخرته، ويرشده إلى جنته، قال الله تعالى: { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } المائدة : 15 ، 16.

فمنحك الإيمان، وطلب منك أن تهتم بالمحافظة عليه، ووجهك إلى التربية عليه، لأمر منها:

¹¹⁸ السيرة النبوية، ابن هشام، ج 4 ص 132 - 138، ط دار الكتاب العربي.

¹¹⁹ سيد قطب (1324 - 1385هـ، 1906 - 1966م)). سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد بقرية موشة بمحافظة أسيوط في صعيد مصر. مضت حياة سيد قطب في مرحلتين: مرحلة النشاط الأدبي، ومرحلة العمل الإسلامي. وله التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، وفي ظلال القرآن. الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia. من المكتبة الشاملة.

¹²⁰ في ظلال القرآن، سيد قطب، ج 2 ص 3351، دار الشروق.

أولاً: أن الإيمان هو أفضل الأعمال: عن أبي هريرة¹²¹ - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أيّ العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا؟ قال: «حجّ مبرور» متفق عليه.¹²²

ثانياً: الإيمان مناط النجاة يوم القيامة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببكم؟ أفشوا السلام بينكم».¹²³

ثالثاً: تفاوت الناس يوم القيامة على أساس الإيمان: وهذا التفاوت له ميادين، منها:

أ- تفاضل أهل الجنة فيما بينهم، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة ليرأون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل بينهم» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».¹²⁴

ب- تفاوت العصاة من الموحدين في النار: فعن معبد بن هلال العنزي¹²⁵ قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك¹²⁶ وذهبنا معنا بثابت¹²⁷ إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى فاستأذننا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة

¹²¹ هو أبو هريرة الدوسي اليماني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحافظ الصحابة اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا، ويقال كان اسمه في

الجاهلية عبد شمس وكنيته أبو الأسود فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه أبا هريرة قيل لأجل هرة كان يحمل أولادها، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير الطيب، مات سنة سبع وقيل سنة ثمان وقيل تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ع. انظر: تهذيب التهذيب، ج 12 ص 288.

¹²² رواه البخاري في الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل. ومسلم في الإيمان ح 183، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

¹²³ رواه مسلم في الإيمان ح 54، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

¹²⁴ رواه البخاري في بدء الخلق باب صفة الجنة ح 3256. ومسلم في الجنة ح 2831.

¹²⁵ هو: معبد بن هلال العنزي البصري، روى عن عقبة بن عامر الجهني وأنس بن مالك والحسن البصري وغيرهم، روى عنه قتادة وهو من أقرانه وآخرين، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب، ج 10 ص 202.

¹²⁶ هو: أنس ابن مالك ابن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين مشهور [لقبه ذو الأذنين] مات سنة اثنتين وقيل

ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة ع. انظر: تهذيب التهذيب، ج 1 ص 115.

¹²⁷ هو ثابت ابن أسلم البناني، أبو محمد البصري، ثقة عابد من الرابعة مات سنة بضع وعشرين وله ست وثمانون ع. انظر: تهذيب التهذيب، ج 1 ص 133.

جَاؤُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَقَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَآجِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ وَفِيهِ : « فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقَالُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقَالُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ، أَوْ خَرَدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ ... » الحديث.¹²⁸

رابعاً: الإيمان هو الأساس والأصل في التربية الإسلامية، وسائر الأمور إنما هي فروع وثمرات لهذا الأصل العظيم، فالسلوك والعلم الشرعي والجهاد والدعوة والكف عن المحرمات، إنما هو ثمرة ونتيجة من نتائج تحقق الإيمان، وحين نعتني بتربية الإيمان في النفوس، ويأخذ الجانب الإيماني نصيبه وحظّه، نختصر خطوات عدّة، وتوفر الجهد في ميدان ومجال واحد.

خامساً: الإيمان هو الزاد في مواجهة الشهوات التي عصفت بشباب المسلمين اليوم، وهو أعظم حاجز بين المرء وبين واقعة الحرام والمعاصي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ النحل 99.

سادساً: قوّة الإيمان هي العلاج الأنجح لكثير من المشكلات التي يشتكي منها الكثيرون، كقسوة القلب، ضعف العناية بالعبادات، الفتور، غياب المراقبة، ونحوها.

لذا فحين سأل هرقل أبا سفيان¹²⁹ - رضي الله عنه - عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب".¹³⁰

¹²⁸ رواه البخاري، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح 7510. ومسلم ح 500، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

¹²⁹ صخر ابن حرب ابن أمية ابن عبد شمس ابن عبد مناف الأموي أبو سفيان صحابي شهير أسلم عام الفتح ومات سنة اثنتين وثلاثين وقيل بعدها. انظر:

تقريب التهذيب، ج 2 ص 275.

¹³⁰ رواه البخاري، في بدء الوحي، ح 7. ومسلمو في الجهاد والسيرو ح 1773.

فهذه أبعاد قويّة، وحقائق واقعية ثبتت هي وغيرها من نصوص الكتاب والسنة يستنتج منها: أنّ التربية الإيمانية هي هدف الدين الأساسي ومطلبه الرئيسيّ.

المطلب الرابع: التربية الإيمانية حاجة بشرية.

إنّ حاجة الإنسان إلى الدين حاجة أولية، وقضيّة أساسيّة، ومطلب ضروريّ... إذ الإنسان مفطور بشعور الضعف والاعتراف بالنقص، يرغب في إيمان خالقه ويحتاج إلى توفيقه ورعايته. ولا بدّ له في حياته من قوانين قوية لتقويم غرائزه، وتحسين سلوكه، وإرشاد توجيهاته، وتعديل أفكاره، وضبط مشاعره وأحاسيسه.

ولن يوفر له ذلك إلاّ تشريع ديني إلهي يلاءم فطرته، وينظّم علاقته فيما بينه وبين أفراد الذين لا يستغني عن التعاون معهم لتوفير أسباب حياته، وبقائها صالحة في هذا الوجود.

وذلك حينما يقوم على أساس إيمان صحيح راسخ قويّ.¹³¹

ومن الملاحظ أنّ العالم يعيش بشتى مجتمعاته في تناقض كبير، بين الشعارات التي يطرحها القادة والمفكرون والمربون وبين النتائج الواقعية التي تجنيها الشعوب، وخاصة الضعيفة، أو الطبقات المحكومة من الدول الكبرى.

فشعار حرية الشعوب و مصيرها يقابله ظلم الشعوب الضعيفة واغتصاب خيرتها، ولكن بأساليب خداعة ملتوية.

وشعار الحرص على السلام، والدعوة إليه، يقابله التدخل في شئون الشعوب الضعيفة والاعتداء عليها على مرئى ومسمع من المؤسسات الدولية التي لا تحرك ساكناً، ولا تستعمل أيّ سلاح فعّال لردع أي ظالم أو مغتصب.

وشعار حفظ الصحة العامة، يقابله تعاطي الخمر والمخدرات والتدخين وحماية تجارتها وصناعاتها...

¹³¹ انظر: عقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري، ص 23، مكتبة الصفا، القاهرة ط 1، 1422 هـ / 2002 م.

وشعار حفظ الأسرة، يقابله إباحة الزنى، وترويج الشهوات بالدعايات والأفلام الجنسية ...
وتحريض المرأة على مالا يليق بها .

وشعار حفظ الطفولة، ومراعاة طبيعتها قد أدى إلى ضياع الطفولة بسبب المبالغة في التدليل والإباحة.¹³²

وهكذا خسر الناس الخير والوئام، وفاتهم الأمن والسلام، وبينما نجد الإسلام قد وضع للناس جميعا تشريعات مستقيمة، ورتب عليها جزاء أبديا، وجعل الإيمان عليها مراقبا ... فيتحقق لهم الأمن، ويقضون منها حاجاتهم، ويجنون منها منافع غالية.

المطلب الخامس: التربية الإيمانية فطرة إنسانية.

ترتبط الفطرة بالإيمان والتوحيد ارتباطا وثيقا ومحكما، لأنّ الله تعالى لما استخرج ذرية آدم عليه سلام من ظهره، وأشهدهم على معرفته وتوحيده أبقى أثر شهادتهم في فطرتهم، فلا يولد أحد منهما إلاّ حنيفا مسلما، ولهذا سمى الإسلام فطرة لأنّه الدين القيم والحنيفة التي خلق الله الناس عليها.

قال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } الروم : 30.

قال ابن عاشور¹³³: " فطرة الله بدل من حنيف بدل اشتغال، فهو في معنى الحال من الدين ... فيفيد أنّه دين سهل لا عنت فيه".

وقال أيضا: " ومعني فطر الناس على الدين الحنيف: أنّ الله خلق الناس قابليين لأحكام هذا الدين، وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له ..."

¹³² انظر: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، عبد الرحمان النحلاوي، ص 9.

¹³³ ابن عاشور (1296 - 1393 هـ = 1879 - 1973 م) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، منها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (التحرير والتنوير)،. انظر: الأعلام للزركلي، ج6 ص 174.

وقال ابن عطية¹³⁴: "والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة (أي الفطرة) أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الإنسان التي هي معدة ومهيئة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائع" . اهـ.¹³⁵

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - { فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَىهَا }

136

فعلم أن كل طفل يولد، إنما يولد حنيفاً على الإسلام الذي بعثت به الرسل وذلك بمقتضى الميثاق والعهد الأول.

قال ابن عبد البر¹³⁷: "خلق الطفل سليماً من الكفر مؤمناً مسلماً، على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم... وهذه الخلقة على الإسلام والتوحيد هي الفطرة بمعناها الشرعي ... ولهذا فسرها أئمة السلف بالإسلام.

إلى أن قال: هذا هو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل ... وقد أجمعوا قول الله عز وجل { فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَىهَا } على أن قالوا: فطرة الله دين الإسلام ... وذكروا عن مكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة... ذلك".¹³⁸

¹³⁴ ابن عطية (000 - 383 هـ = 000 - 993 م) عبد الله بن عطية بن عبد الله بن جبيب، أبو محمد: عالم بالتفسير، مقرئ. من أهل دمشق. كان إمام مسجد باب الجاهلية المعروف في أيام الجزري بمسجد "عطية" نسبة إليه. له "تفسير ابن عطية - خ. الأعلام، ج 4 ص 103.

¹³⁵ التحرير والتنوير، لمحمد بنعاشور ج 10 ص 89 مكتبة ابن تيمية لا ط 1984م. والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية. تفسير سورة الروم آية 30.

¹³⁶ 1 رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ح 1385. ومسلم في القدر، باب مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمُ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ، ح 6926.

¹³⁷ ابن عبد البر (368 - 463 هـ = 978 - 1071 م) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. ولد بقرطبة. ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة. من كتبه "الاستيعاب" و"جامع بيان العلم وفضله". انظر: الأعلام، ج 8 ص 240.

¹³⁸ 138 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، للحافظ يوسف بن عبد الله بن عبد البر، ج 7 ص 240-241، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 419 هـ / 1999م.

وقال ابن حجر: " الآثار المنقولة عن السلف تدلّ على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلاّ

الإسلام".¹³⁹

وجزم به كثير من الأئمة كالطبري والبيهقي¹⁴⁰ وأبي العباس القرطبي¹⁴¹ وابن تيمية وابن

القيم¹⁴² وابن كثير وابن رجب وابن أبي العزّ الحنفي وابن حجر والشوكاني¹⁴³ وغيرهم.¹⁴⁴

المبحث الرابع: وسائل التربية الإيمانية.

للتربية الإيمانية وسائل فذة تنسجم مع خصائص النفس البشرية، وتتنوع لتستوعب جميع

مداخلها ومختلف ظروفها، وقد جعلت أهمّ تلك الوسائل في ثمانية مطالب:

المطلب الأول: العلم النافع.

يعتبر الإسلام الاشتغال بالعلم من أفضل الطاعات وأجلّ القربات، وقد جعله الإسلام أساساً لجميع المعاملات، وشرطاً لصحة الأقوال والأعمال، وقد توافرت نصوص الكتاب والسنة على فضل العلم وشرفه، وفضل أهله، وأن كلّ شيء يفتقر إليه، وأنّ الناس كلّهم في الظلمات إلا من استنار بنور العلم النافع، ومن الأعمال الصالحة، قال الله تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

¹³⁹ فتح الباري، ج 4، ص 179-174.

¹⁴⁰ البيهقي (384 - 458 هـ = 994 - 1066 م) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرها، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى). انظر: الأعلام، ج 1 ص 116.

¹⁴¹ القرطبي (578 - 656 هـ = 1182 - 1258 م) أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الانصاري القرطبي: فقيه مالكي، من رجال الحديث. كان مدرسا بالاسكندرية وتوفي بها. ومولده بقرطبة. من كتبه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم). انظر: الأعلام، ج 1 ص 186.

¹⁴² ابن القيم الجوزية (691 - 751 هـ = 1292 - 1350 م) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الاسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، ألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و (زاد المعاد). انظر: الأعلام، ج 6 ص 56.

¹⁴³ الشوكاني (1173 - 1250 هـ = 1760 - 1834 م) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بمجرة شوكان ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكماً بها. وكان يرى تحريم التقليد. له 114 مؤلفاً، منها نيل الاوطار من أسرار منتقى الاخبار، وفتح القدير، انظر: الأعلام، ج 6 ص 297.

¹⁴⁴ انظر: ميثاق الإيمان، د/ عيسى عبدالله السعدي، ص 39-42، السنة الرابعة والعشرون، العام 1430هـ 2009م.

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ { الزمر : 9. وعن معاوية¹⁴⁵ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »¹⁴⁶.

وحد العلم ما قامت به الأدلة والبراهين، والأنفع منه ما تعلق بالدين، وكان من العلوم المعينة على الدين. ولم يكن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تابعوهم ولا من تبعهم بإحسان يصنفون العلوم إلى علوم شرعية وعلوم كونية، وإنما كانوا يقتدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في تقسيم العلم إلى علم نافع وعلم لا ينفع. وقد صح عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه كان يسأل الله علما نافعا¹⁴⁷، وأنه كان يستعيز بالله من علم لا ينفع¹⁴⁸. وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للعلم الذي لا ينفع في قصة هاروت وماروت : (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) البقرة 102. فكل علم ينفع الناس هو علم إسلامي، وهو علم مشروع، وهو علم حق، فالحق غاية العلم، والله قد أنزل الكتاب بالحق كما خلق السماوات والأرض بالحق. والحق ما ينفع الناس، فقد قال ربنا عز وجل في سورة الرعد: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) الرعد 17. الزبد هو [الباطل]، وأما ما ينفع الناس فهو [الحق].

وقد جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - طلب هذا العلم النافع فريضة على كل مسلم، ذكرنا كان أم أنثى، ولو أن منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية. ولننظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم عليه : (طلب العلم فريضة على كل مسلم)¹⁴⁹. لنعرف لماذا أجهد المسلمون أنفسهم في تطلبه، ولماذا بحثوا عنه في كل مكان ولم يجدوا حرجا في أخذه من أي وعاء خرج، ولماذا

¹⁴⁵ هو: معاوية ابن أبي سفيان صخر ابن حرب ابن أمية الأموي أبو عبد الرحمن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين. الأعلام، ج 2 ص 537.
¹⁴⁶ البخاري في العلم (71)، بَاب مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ. ومسلم في الزكاة ح 1037، باب النهي عن المسألة.

¹⁴⁷ أخرجه ابن ماجه، باب ما يقال بعد التسليم. قال الشوكاني في نيل الأوطار: ورجاله ثقات. ج 5 ص 149.
¹⁴⁸ رواه مسلم، باب التَّعَوُّذُ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ.

¹⁴⁹ رواه ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على الطلب. وهو صحيح. قال الألباني في (تخريج مشكاة الفقهاء): صحيح أخرجه ابن ماجه واللفظ له وروي عن جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك.. الخ. ج 1 ص 48، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 1.

اتجهت أمة الإسلام بعد عصر الراشدين، الذي فتح على الإسلام قلوب الناس، تنفتح على العالم من حولها تتلمس كل علم ينفع الناس.

وحيث إنّ العلم يرشد المرء حتى يقف على أسماء الله وصفاته وآلائه ونعمه ويتيقن عظمة الله وقدرته، وكرمه وجوده ... وبه يتبع الرسل ويقتدي بهم... وبه يتعرف المرء على دينه، ولما كان الأمر كذلك يثبت أنّ العلم النافع هو أهمّ الوسائل للتربية الإيمانية.

المطلب الثاني: الشعائر التعبدية:

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية نجد أنّ فيها آيات كثيرة وأحاديث وافرة تدعو إلى ما فيه حياة القلوب وتركيز النفوس وزيادة الإيمان، وفي الشعائر التعبدية إحكام الصلة بين العبد وربّه، وترسيخ الإيمان في نفسه، وأهم ما يتقرب به العبد إلى الله - عزّ وجلّ - ويزيد في إيمانه، ويرفع درجته هو أداء الفرائض التي افترضها سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } العلق : 19.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عزّ وجلّ: «... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» الحديث، ثم تأتي بعد ذلك النوافل التي تكمل الفرائض، وتضاعف الحسنات، ورفع الدرجات وفي نفس الحديث: « وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ».¹⁵⁰

المطلب الثالث: الذكر والتلاوة.

يبين العلماء أن للذكر نوعين هما:

الأول: ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه بهما ، وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى.

¹⁵⁰ أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح 6501.

الثاني: ذكر أمره ونهيه وأحكامه.

فيشمل ذكر الله ترديد كل ما ثبت من الأدعية والأذكار، ويشمل حضور مجالس الذكر في المساجد والبيوت، وغيرها من الأماكن، ويشتمل كذلك بيان حكم الله عز وجل فيما يواجهه الناس من أفضية وأحكام هذا بالإضافة إلى المبادرة إلى تنفيذ ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

وذكر الله ينبغي أن يتحلى به المسلم ويتثبت به، سواء كان وحده أو مع غيره، قال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } آل عمران : 190 ، 191.¹⁵¹

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً. »¹⁵².

إن لذكر الله تعالى أثرا عظيما في التربية على الإيمان، لأن دوام ذكره تعالى يربّي في النفس مقام مراقبة الله في السلوك والتصرفات، وقد بين ابن القيم أن للذكر نحو مائة فائدة، وينصح الرجوع لها في كتابه (الوابل الصيّب من الكلم الطيّب)¹⁵³.

وقد أورد فيه روايات وأقوال عدّة عن سلف هذه الأمة، من ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن في الدنيا جنّة من لم يدخلها لا يدخل الجنّة " وهذه المقولة ليست مغالطة بل هي الحقيقة

¹⁵¹ انظر التربية الذاتية من الكتاب والسنة ، / د هاشم على الأهدل . ص 66.68 من موقع : صيد الفوائد. قسم التربية.

¹⁵² رواه البخاري، باب قول الله تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}. ومسلم كتاب الذكر. باب باب الحث على ذكر الله تعالى ح 2675.

¹⁵³ وفيه يقول: وفي الذكر أكثر من مائة فائدة : إحداها أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره. الثانية أنه يرضي الرحمن عز وجل. الثالثة أنه يزيل الهم والغم عن القلب. الرابعة أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط. الخامسة أنه يقوى القلب والبدن. السادسة أنه ينور الوجه والقلب. السابعة أنه يجلب الرزق الثامنة أنه يكسو الذكر المهابة والحلاوة والنضرة التاسعة أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

بعينها قالها من هو مطلع على حقيقة الدين، فيا ترى ما هي جنة الدنيا؟ وما ثمرتها؟ وما علامتها؟ إن جنة الدنيا هي محبة الله والإيمان به وإتباع رسوله.

وقول أحدهم: "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها، وما ذاقوا أطيب ما فيها؛ محبة الله تعالى ومعرفته وذكره".

ولا ننسى أنّ أفضل الذكر وأهمّه هو: تلاوة القرآن الكريم، فإنّ في قراءته وتدبره تربية للنفس وأيّ تربية، وفيه حياة للروح، وأي حياة، قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} التكوير: 27، 28. وعن جابر عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القرآن شافع مشفع، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار»¹⁵⁴.

المطلب الرابع: القدوة الحسنة.

ممالا يخفى على أحد أنّ دين الإسلام دين القدوات والعظام والنماذج الفريدة، وأعظم قدوة في الإسلام هم الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} الممتحنة آية 6.

وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} الأحزاب: 21.

ثم أصحابه، رضوان الله عليهم ثم من تبعهم بإحسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»¹⁵⁵، وقال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»¹⁵⁶.

¹⁵⁴ انظر: التربية الذاتية، د/ هاشم علي الأهل ص 69، 74، من مكتبة صيد الفوائد، ومن المكتبة الشاملة. والحديث رواه ابن حبان، والبيهقي، والطبراني، وابن سعد، انظر: السلسلة الصحيحة 2019.

¹⁵⁵ رواه أبو داود في السنة، الترمذي في العلم، وابن ماجه في المقدمة والإمام أحمد. وصححه الألباني في صحيح الجامع ج 1 ص 449 ح 499 ر 2549.

¹⁵⁶ رواه البخاري في كتاب الشهادات. ومسلم في فضائل الصحابة.

وتبدو أهمية وجود القدوة الحسنة، وخاصة في زمننا هذا من خلال أمور منها:

أولاً: ظهور كثير من القذورات السيئة، فلا بد أن نحرص على إيجاد النماذج للقدوات الحسنة.

ثانياً: أن القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل العالية تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، وأن هذا العمل في تناول القذورات الإنسانية، وشاهد العمل أقوى من شاهد المقال.

ثالثاً: مستويات فهم الكلام تتفاوت عند الناس، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ اتَّخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ وَقَالَ إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ ». ¹⁵⁷

فإن كان الأمر كذلك لزم على كل من يطلب الإيمان ويحرص عليه أن يلتزمه أيضاً من سيرة المؤمنين الغابرين و الصالحين المعاصرين ليقفوا بهم.

المطلب الخامس: الصحبة الصالحة.

الإنسان بطبعه اجتماعي، ويتوق للصحبة، ولا يمكنه الاستغناء عنها، وهي من المؤثرات الأساسية في تكوين الشخصية ورسم معالم الطريق، فإن كانت صحبة الأخيار أفاضت على الأصحاب كل الخير، وإن كانت صحبة أشرار فمن المؤكد أنها ستترك بصماتها.

إذا كنتَ في قومٍ فصاحبُ خيارَهُمْ * ولا تصحبِ الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكلُّ قرينٍ بالمُقارنِ يُقْتَدِي. ¹⁵⁸

¹⁵⁷ رواه البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بأفعاله صلى الله عليه وسلم.

¹⁵⁸ ديوان طرفة بن العبد، جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور - (7 / 183)، من المكتبة الشاملة. والبيتان مختلف في قائلهما، وقد نسبهما ابن عبد البر في بهجة المجالس، وغيره إلى عدي بن زيد.

فالصديق الصالح هو عنوان الفلاح، وهو سبب للورود على باب الجنة، أو سبب للصدّ عنه فالصديق الصالح يذكرك إذا نسيت، ويعلمك إذا جهلت، ويعينك إذا أطعت، يأخذ بيدك إلى كل خير، أما صديق السوء فهو الخذلان عند النوائب، وسبب لذهاب الجاه والمال والمحبة لله تعالى.

وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: « مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإمّا أن تجد منه ريحا خبيثة »¹⁵⁹ متفق عليه.

" وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتحاضّون على زيارة أهل الخير الذين يذكرونهم بالله ويرققون القلوب، ويستندرون دموع الخشية والعظة والاعتبار، وفي ذلك يروي أنس - رضي الله عنه - حيث يقول: « قال أبوبكر - رضي الله عنه - بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن¹⁶⁰ نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أنّ ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبكي أنّ الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها ». ¹⁶¹ إنّ مثل هذه المجالس تقوي إيمان الإنسان، وتصفو روحه، وتزكو نفسه ويغدو خيرا محضا على نفسه وأسرته ومجتمعه ".¹⁶²

فلا يستهيننّ إنسان أمر الصحبة والصدّاقة، ولا يتوان في انتقاء أصحابه لأنّ ذلك خير له في دينه وحياته، ولذا قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : " لا تخالط سيء الأخلاق، فإنّه لا يدعو إلّا إلى شرّ ".¹⁶³

المطلب السادس: الوعظ والإرشاد.

¹⁵⁹ رواه البخاري في البيوع، باب في العصر. ومسلم في البر، ج 2028.

¹⁶⁰ أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم يقال اسمها بركة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنها أنس بن مالك، وهي أم أسامة بن زيد بن حارثة.

تزوجها زيد بعد عبادة الحبشي هاجرت المجرتين قال الواقدي كانت لعبد الملك بن عبد المطلب فصار للنبي صلى الله عليه وسلم ميراثا، ماتت في خلافة

عثمان. انظر: تهذيب التهذيب، ج 12، ص 486.

¹⁶¹ رواه مسلم في فضائل الصحابة، ج 2454.

¹⁶² الفساد الخلقي في المجتمع، ناصر عبد الله بن ناصر التركي، ص 237-238، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1422هـ.

¹⁶³ مساوئ الأخلاق ومذمومها، محمود مصطفى سلبي، ص 20، نقلا من الفساد الخلقي في المجتمع ص 95.

مهما بلغ الإنسان من العلم والعرفان، والتزم التقوى والإيمان؛ فإنه معرض للخطأ والعصيان، إما لجهل أو نسيان، وإما بغلبة النفس البشرية الداعية إلى الشهوة وإتباع الهوى، وإما بإضلال إبليس وأنصاره بواسطة تزيين المعاصي والذنوب والجهاد في الدعوة إليها.

ومن هنا تأتي أهمية الوعظ في سبيل الله تعالى، والإرشاد إلى التوبة عن الخطايا والزلات، لتهدئة النفوس الثائرة، وكبح جماع القلوب الحائرة، وتنظيف الأرواح المخطئة، قال الله تعالى: (وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) سورة الذاريات آية 55.

ومتى ما تخلفت هذه الوظيفة العظيمة بين المؤمنين، تخلل الوهن ثنائياهم وتمكنت الذنوب بينهم، وتحكمت الشرور عليهم، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ». 164

فإن لا بد من دعاة صالحين يسرون بهمهم عالية، وقلوب مخلصه، يغذون الآذان بآيات الكتاب وهدى السنة، ويخاطبون الضمائر ترغيبا في نعيم الجنة، وترهيبا من عذاب النار، فبذلك يغلب الإيمان بواذر العصيان، ويجد السعي إلى جواهر الإحسان.

المطلب السابع: المحاسبة والتقوى.

164 أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر بالمعروف. والترمذي في الفتن، باب ماجاء في الأمر بالمعروف ح 169، عن حذيفة اليماني، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، وصحيح الجامع 2161.

ينبغي أن يضع الفرد المسلم المحاسبة نصب عينيه استعداداً للسؤال وترقياً لما بعده من أهوال، والمحاسبة: هي ذلك الميزان الدنيوي الذي يستخدمه المرء المسلم لتصحيح مساره، وتعديل سلوكه، مستضيئاً في ذلك بعهدي الكتاب والسنة.

إنّ هذه الوسيلة لفي غاية الأهمية، ومع ذلك لم يفتن إليها إلا من وفقه الله تعالى، والله سبحانه ينادي عباده المؤمنين مطالباً إياهم بذلك، فيقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } الحشر: 18.

وتعد منزلة المحاسبة من أفضل المراتب لأنها تحتاج إلى مراقبة دائمة، ومجاهدة مستمرة للنفس الإنسانية، قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } العنكبوت: 69. وهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول مبيّناً أهمية هذا الأسلوب: « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزن لكم، فإنه أهون في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية».¹⁶⁵

ثم إنّ التقوى هي عقد متفرقات جميع وسائل التربية الإيمانية، وهي الرابطة أو الحلقة التي ينبغي أن يحيط بها العبد عند الهمّ بأيّ من تلك الوسائل.

والتقوى تشبه المحاسبة من جوانب عدّة، مثل العلم قبل العمل، وعدم معرفة المخلوقين بها. وتقوى الله هي وصيّة الله إلى الأولين والآخرين، وهذه الوصية العظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده.

وهناك عبارات مختلفة من السلف في تعريف التقوى، وحقيقتها: أنها كلمة جامعة لفعل الطاعات وترك المعاصي، الكبير منها والصغير والجليل والحقير.

وهي في جملتها تكتنف النفوس المؤمنة من الداخل بحيث ينبع الخير منها دون ضغوط خارجية، وتنفر من الشر بلا قسر ولا إكراه.¹⁶⁶

¹⁶⁵ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ابن نعيم الأصبهاني، ج 1 ص 52، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ط.

¹⁶⁶ انظر التربية الذاتية، للدكتور/ هاشم علي الأهدل، ص 80 - 84.

المطلب الثامن: الاستعانة بالله تعالى، ودعوته.

الهداية الحقّة والثبات على الدين لا ينال بمجرد الجهد، ولا يحصل بالسلوك وحده، بل إنّ العبد لا يستطيع الوصول إلى خالقه إلا بإعانة وتوفيق منه سبحانه، ولذلك كان لزاماً على كل مسلم أن يردد في جميع صلواته قول الله تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) } الفاتحة : 6،5.

فإذا كانت له ثقةٌ تامةٌ بمالك الملك، وتوكلُ كليّ على الجواد الكريم، وسلك الطريق، وجدّ للوصول؛ أتاه التيسير واستقبله العزيز الحميد، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: « إذا تقرب العبد إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ». ¹⁶⁷

فالإنسان في حاجة دائمة إلى مدد علويّ، وعون إلهي في كل أموره، لذلك فهو بالفطرة يبسط كفيه بالدعاء كلما داهمه خطب، أو ألتم به نازلة وضائق به السبل، وفي ذلك يقول ابن القيم: بعد قوله صلى الله عليه وسلم « وَأْمُرْكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ » ¹⁶⁸ " فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجا بذكره فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه واقتصره " ¹⁶⁹.

وقد أرشد الله تعالى في آيات كثيرة إلى الدعاء والاجتهاد فيه لاستمرار القرب من الله والصلة معه، قال تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } البقرة : 186.

¹⁶⁷ رواه البخاري في التوحيد، باب قوله تعالى ويحذركم الله نفسه، ح 7403. ومسلم في الذكر.
¹⁶⁸ قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: " وأخرج الترمذي والنسائي وصححه الحاكم عن الحارث بن الحارث الأشعري في حديث طويل وفيه فأمركم أن تذكروا الله... الحديث. وصححه الألباني في صحيح الجامع (1724).

وكذلك فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة على الاعتناء بالدعاء والثبات عليه، فعَنْ سَلْمَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا ».¹⁷⁰

فالدعاء هو توثيق الصلة بين المؤمن وخالقه، وتمتين للعلاقة بين الإنسان وربّه، وهو حالة من حالات الوجه ولون من ألوان الوصال، وتصلح به تربية القلب، فلا ينبت فيه إلا صالحا، فالتوجه للدعاء إذن توفيق من الله تعالى وسبيل للوصول إليه، وطريقة للقرب منه.

الفصل الثاني: آثار التربية الإسلامية

¹⁷⁰ رواه أبو داود، في الدعاء، ح(1488). و الترمذي باب 105، ح (3556). وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (1753).

وفيه تمهيد وثلاثة محاور:

المبحث الأول:

آثار التربية الإيمانية في الفرد.

المبحث الثاني :

آثار التربية الإيمانية في المجتمع.

المبحث الثالث :

نماذج إيمانية من تاريخ المسلمين.

تمهيد:

لقد تحدثت في الفصل الأول عن التربية الإسلامية، فظهر لنا من خلاله أسبقيتها وصدارتها في هذا المجال الحساس؛ فإنّها فاقت جميع النظريات السائدة في هذا الزمن، بما تفرد به من أسس

متينة، وأهداف واضحة سليمة، ومصادر صافية وثيقة، ثم تكلمنا عن العقيدة الإسلامية الثمينة بسماتها الربانية وأماراتها الإنسانية، وبعد ذلك مررنا بمنزلة هذه التربية وأهميتها في صلاح الحياة الدنيوية والأخروية، وأخيرا ألقيت الضوء على الطرق المعينة على تحصيلها والعيش معها دائما وأبدا.

وهذا كله يقودنا إلى البحث عن النتائج المنتظرة، والثمار المقتطفة عندما تحقق هذه التربية لدى الفرد والجماعة.

إنّ للتربية الإيمانية آثار طيبة نافعة، مجزية سابغة، تمنح الفرد مكاسب ضخمة وأرباحا وفيرة... وهي إن حصلت أثّرت في الفرد والجماعات، والدول والمجتمعات، وأثمرت ثمارا يانعة شهية، وآتت أكلها في الدنيا والآخرة...

آثار في عالم القيم والفضائل والأخلاق، ثم في ميدان الكسب المادي، آثارا باطنة تتمثل في الروح والقلب، آثارا ظاهرة تتمثل في السلوك والأخلاق، آثارا مادية تتمثل في المال والثروة... وفي هذا الفصل أحاول أن نقف معا على أبرز تلك الآثار وأهمّها - إن شاء الله -، وقد تم تقسيم تلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آثار التربية الإيمانية على الفرد.

المبحث الثاني: آثار التربية الإيمانية في المجتمع.

المبحث الثالث: نماذج إيمانية من تاريخ المسلمين.

المبحث الأول: آثار التربية الإيمانية في الفرد.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآثار النفسية

وهي الآثار التي تتركها التربية الإيمانية في نفس المرء، وتثبتها في روحه وتضيء في قلبه بنور مشرق بديع، ثم ينتقل هذا النور إلى حياته كلها، فتكون حياة سعيدة هائلة مثمرة.

وتلك السعادة هي التي حيرت عقول المفكرين وأنفذت جهود العاملين وأفلست أموال الأغنياء وسببت بكاء الفقراء، هي التي يغدو لها ويروح الكبير والصغير، وينشدها الرجل والمرأة ليل نهار... ولكن! ولكن للأسف، ما وجدها جلّ من طلبها، وما رآها أغلب من بحث عنها!

" إنّ السعادة ليست في وفرة المال ولا سطورة الجاه، وكثرة الولد، ولا نيل المنفعة ولا في العلم التجريبي... قال لبيد: وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائع.

السعادة شيء معنوي لا يرى بالعين، يشعر به الإنسان بين جوانحه، صفاء النفس، وطمأنينة، قلب وانشراح وراحة ضمير، السعادة شيء من داخل الإنسان، ولا يستورد من خارجه..."¹⁷¹.

إنّ الإيمان بالله واليوم الآخرة يجلب لصاحبه أموراً هي أساس السعادة في الدنيا والآخرة، فالإنسان المؤمن هو الإنسان السعيد، لأنّه استقرّ في قلبه ينابيع الفرح والسرور، وملك في يده مفاتيح الفوز والفلاح. ومن أهم ما يجلبه الإيمان لصاحبه ما يأتي :-

أولاً: السكينة والأمن:

قال ابن القيم - رحمه الله - في مدارج السالكين: " وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات " .¹⁷²

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) سورة الفتح
آية 4.

وقال سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) سورة الأنعام
آية 82.

وهذه الآية وردت في سياق قصة النبي إبراهيم - عليه السلام - مع قومه لما خوفوه وهدّوه وبأسنامهم، فبين لهم: " أنّ الذين حصل لهم الأمن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة الفطرية وسنامه الإيمان، لكمال القوة العلمية وهو وضع الأشياء في موضعها " .¹⁷³

¹⁷¹ الإيمان والحياة، د/ يوسف القرضاوي ص 78، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 6، 1428هـ - 2007م.

¹⁷² مدار السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، ص 208، مكتبة الصفا، القاهرة، ط 1، 1424هـ - 2004م.

ثانياً: الرضا واليقين:

وليس معنى الرضا الاستسلام للأوضاع والتقاعد عن العمل، وإنما الرضا هو: "سرور القلب بمرّ القضاء، أو ارتفاع الجزع في أيّ حكم كان".¹⁷⁴

"فالمؤمن يرضى عن نفسه وربّه، ويطمئن إلى يومه وحاضره، ويقينه بالله والآخرة والجزاء يطمئن إلى غده ومستقبله، فالغمّ والحزن مرتبط بالسخط والشكّ، فالساخط إنسان دائم الحزن دائم الكآبة، ضيق الصدر، ضيق الحياة، ضيق! ضيق! ضيق من كلّ شيء كأنّ الدنيا - على سعتها - في عينه سمّ الخياط، والمؤمن قد تصيبه كآبة، وقد يعتر به الحزن، ولهذا قال الله لرسول صلى الله عليه وسلم: (ولا تحزن عليهم)... ولكن حزن المؤمن لغيره، أكثر من حزنه لنفسه، وإن حزن لنفسه فالآخرة قبل دنياه، وإن حزن لدنياه فهو حزن عارض موقوت كغمام الصيف سرعان ما ينقشع عليه ريح الإيمان".¹⁷⁵

ثالثاً: الثبات في الشدائد:

الحياة محفوفة بالشدائد مصحوبة بالمكاره مخلوطة بالنكبات، لا تدوم لذائذها ولا تبقى مسرّاتها، ولا تؤوي مواطنيها، من قصدها أعرضت عنه، ومن أرادها تنكرت له ومن وطن إليها أزعجته تُمرض البدن، وتبطل العمل، وتخيّب الأمل، وتفني المال، وتقتل الحبيب، وقد قيل: "دوام الحال من المحال".

فجائع الدهر ألوان متّوعة وللزمان مسرّات وأحزان

وهذه الدار لا تبقى على أحد ولا يدوم على حال لها شأن.¹⁷⁶

قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) سورة البلد 4. قال سيّد قطب: "في مكابدة ومشقة وجهد وكدّ وكفاح وكدح..."¹⁷⁷.

وذلك لأن حياة الدنيا ليست دار استقرار، وما قدر الله تعالى فيها البقاء لأحد، فكلّ ما فيها يزول ويفنى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) سورة الرحمن 7.

¹⁷³ تفسير غرائب وרגائب الفرقان، للقمي النيسابوري، ج 3 ص 109.

¹⁷⁴ نضرة النعيم ج 6 ص 2103.

¹⁷⁵ الإيمان والحياة، ص 116.

¹⁷⁶ أبو البقاء الرندي، 601 - 684 هـ / 1204 - 1285 م، صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي، أديب شاعر ناقد قضى معظم أيامه في مدينة رندة

واتصل ببلاط بني نصر (ابن الأحمر) في غرناطة. وكان يفد عليهم ويمدحهم وينال جوائزهم. جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ج 1 ص 166. المكتبة الشاملة.

¹⁷⁷ في ظلال القرآن، ج 6 ص 3909، ط دار الشروق.

ولا يعني ذلك أنها عذاب بحت، أو أن الإنسان محروم فيها من كل خير، مرهون لكل شرّ بل، إنّ الله (خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) سورة الملك 2.

والمؤمن بالله والموقن بلقاءه، كما لا تلهيه متاع الدنيا، فإنّه كذلك لا ترهبه مصائبها، ولا تزعجه بلاياها، كل شيء يهون بعدما علم أنّ الله (أعدّ للمؤمنين أجرا عظيما) وبعد ما علم أنّ المصائب تطهر قلبه وتركّى نفسه وتذكّره بخالقه وتربطه بإيمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها) ¹⁷⁸.

قال أفلاطون ¹⁷⁹: " الشدائد تصلح من النفس بمقدار ما تفسد من العيش، والترف يفسد من النفس بمقدار ما يصلح من العيش " ¹⁸⁰.

فالمصائب والمشاكل إذن تحوي حكما بالغة وأسرار مستورة لا يعلمها إلا الله ربّ العالمين، فهي تصلح حياة الناس بحسب إيمانهم، قال تعالى في سورة هود: (وَلَئِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفُّرُ، وَلَئِنْ أَدْقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ، إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) آية 9,10,11.

قال الحافظ ابن كثير: " يخبر الله تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة إلا من رحم الله من عباده المؤمنين أنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له اليأس والقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل وكفر وجحود الماضي الحال كأنه لم ير خيراً ولم يرج بعد ذلك فرجاً.

وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة {لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي} أي يقول: ما ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء {إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} أي فرح بما في يده بטר فخور على غيره، قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ " ¹⁸¹.

المطلب الثاني: الآثار العقلية

والعقل هو: " الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعدّ به لقبول العلوم الفطرية، وتدبير الصناعات الحقيقة الفكرية " ¹⁸².

ولقد امتن الله - عز وجل - على الإنسان بأن منحه نعمة العقل الذي يميّزه عن سائر الحيوانات فقال: (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) سورة الملك 23.

¹⁷⁸ رواه البخاري من حديث عائشة في كتاب المرضى، ومسلم ح 2572.

¹⁷⁹ أفلاطون من مشاهير فلاسفة الإغريقية كان تلميذ سقراط ومعلم أرسطو، أسس عام 387 ق.م، مدرسة (الأكاديمية) من مؤلفاته:

(الجمهورية، والمحاورات، والشرائع). انظر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت 1989م.

¹⁸⁰ نقلا من كتاب لا تحزن، للدكتور عائض القرني، ص 54، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 6، 1426 هـ - 2005م.

¹⁸¹ تفسير القرآن العظيم، ج 2 ص 1150.

¹⁸² إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ج 1 ص 116، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2004م.

وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام وتكريم العقل الإنساني والاعتزاز به والاعتماد عليه في فهم النصوص كالعقيدة الإسلامية.

بل إنّ العقيدة الإسلامية تدعو العقل إلى تشغيل طاقاته، وتستشيره ليؤدي دوره الذي خلقه الله من أجله وتنبّه ليتدبّر وليتفكّر، وينظر ويتأمل، مدلّلة بذلك على أنّ الدعوة إلى الإيمان قامت على الإقناع العقلي.

ويبدو هذا واضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم تكرّرت عشرات المرات في السياق القرآني، مدح الله من خلالها مسمّى العقل، ورفع من شأنه من خلال توجيهه إلى النظر والتفكير والتدبير والتأمّل، مثل قوله سبحانه: (كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) سورة البقرة 73. وقوله: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) سورة يوسف 2.

وتتجلى حماية الإسلام للعقل في:

(1) توجيهه إلى التفكير المنطقي، وحسن الاستدلال.

(2) تحريم المسكرات والمخدرات، وعن كلّ ما يضرّ به أو يعطلّ وظيفته.

(3) فرضية تعلم العلم النافع، وبذله في الخير.

(4) وقايته من الاعتداء كالضرب والضغط ونحو ذلك.

ومع هذا الرفع والتكريم والحماية فإنّ الشارع الحكيم قد حدّد له حدوداً وخصّص له مجالات لا ينبغي تجاوزها. فليس العقل وحده - كما يعتبر الماديّون - كافياً لمعرفة جميع الحقائق ولا أساساً أولياً لجلب كافة المصالح الدنيّة والدنيويّة.

بل إنّّه يحتاج إلى رقاب تامة ونصوص سماويّة شافية (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) سورة الإسراء 36.

والإفان ما وصل إليه العقل البشري " في هذا القرن الذي نعيش فيه: القرن العشرين - المنصرم - الذي تطرب لذكره أسماع، وتخضع لعظمته قلوب، القرن الذي بنيت فيه ناطحات السحاب، وعُبدت فيه الطرق البرية الواسعات، حتى أصبح ساكن أقصى الأرض في الشرق، يسافر بسيارته إلى أقصاها في الغرب، وصنعت فيه الطائرات التي تقطع في ساعات ما بين المشرق والمغرب، وامتألت البحار المحيطات بالسفن الضخمة، المدنية والحربية والغواصات، وأصبحت بعض كواكب السماء، للمسافرين محطات، وقد وطئت أقدام الإنسان على وجه القمر الذي كانت تشبه به الغيد الجميلات!

وهكذا ما من شيء محسوس في هذا الكون إلا كان هدفاً لتفكير المفكرين، ومحلاً لبحث الباحثين، ليكتشفوا فوائده، ويغوصوا في أعماق أسرارهِ، ويخضعوه للاستفادة منه مدنياً وعسكرياً.

ولكن الحياة مع ذلك كله، لا زالت حياة شقاء ونكد، تنتشر فيها الفوضى الحسية والمعنوية، ويعم كثيراً من سكان الأرض الخوف والجوع والفقر والمرض، فلا تجد شعباً ولا دولة - صغرت أم كبرت - آمنة من اعتداء شعب ودولة أخرى، تعد للاعتداء عليها العدة، وتتربص بها الدوائر، ولا تجد شعباً ولا دولة يأمن فيها الناس من الظلم والجور والإجرام، بل إنك لتجد الجرائم تتصاعد كلما تقدم الناس في الاكتشافات العلمية والصناعات القوية، يدل على ذلك ارتفاع نسبة الإجرام والمجرمين في المحاكم والسجون والمعتقلات - عدا من لم تضبطه أجهزة الشرطة ومن يسندها ممن يسمون بأجهزة الأمن - لا بل إنك لتجد الصالح المصلح الأمين، العالم المحب لأمتِهِ الساعي إلى تحقيق مصالحها وسعادتها، هو المجرم المكبل بالقيود المودع في المعتقلات، المصلى على رقبته سيف الموت من قبل من آتاه الله القوة من المتكبرين الطغاة، الذين هم أولى بوصف المجرمين، وأحق بالسجون والمعتقلات والنفي والقتل¹⁸³.

فالمؤمن - وحده - هو الذي ينعم به:

- معرفة الخالق الرَّزَّاق الملك الجبَّار رب السماوات والأرض، مولج الليل في النهار ومولج النهار في الليل، يعرفه بنصوص الوحيين والآيات الكونية فلا يروح يخترع خالقين، ولا يبغى معبودين من عند نفسه (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) سورة الزمر 29.

- معرفة سرّ الوجود ودور الإنسان في الحياة، إنه يعرف:

أنه لم يخلق للبعث ولم يترك هملاً.

اعلم بأن الله جلّ وعلا لم يترك الخلق سدى وهملاً

بل خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يفرّده¹⁸⁴.

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) سورة المؤمنون 116.

- معرفة من يسند إليه حوادث الزمن وتغيرات الكون ومصائب الدهر وتقلبات الليل والنهار، يعرف بأن هذا الكون يسير على نظام الحكيم وتدبير العليم الخبير .

¹⁸³ أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، د/ عبدالله قادري الأهدل، المكتبة الشاملة.
¹⁸⁴ سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ أحمد الحكي، ص 5. دار الآثار، القاهرة، ط 1424هـ 2003م.

فلا يرجع الأحداث إلى الطبيعة أو إلى خرافات جاهلية { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } يس 40.

- معرفة مسيره بعد نهاية الحياة الدنيا ، لا يشك في أن هناك حياة أخرى أبدية بعد الموت وأنه سيبعث وسيحاسب وسيجازى بالإحسان إحسانا وبالإساءة عقوبة أو غفرانا، فهو يعمل لآخرته ويزهد في دنياه قال الله تعالى: { ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ } المؤمنون 15 - 16.

- وبمعرفة أنه محصور بشريعة الله مراقب بعناية العزيز العليم ، فنجا بذلك من الحرية المطلقة الحيوانية ، وتخلص من الجراءة على محارم الله تعالى { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } ق 16 ، { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } النور 51.

المطلب الثالث : الآثار السلوكية

يرتبط التخلق بكمكارم الأخلاق ارتباطا وثيقا بالإيمان ، ويتعين استمرارية أدائها والتخلق بأخلاق الإسلام بقوة الإيمان في أحلك المواقف وأصعبها .

فكلما قوي الإيمان قوي التمسك بكمكارم الأخلاق والاستمرار عليه ، وذلك أن الإيمان هو القوة العظيمة التي تتأسس عليها التربية الشخصية ، ولقد بين ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا))¹⁸⁵ . فالإيمان القلبي الاعتقادي تصدقه الجوارح بالأعمال واللسان بالألفاظ .

وهذا ما عناه رسولنا صلى الله عليه وسلم حين قال عن الإحسان: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))¹⁸⁶ قال الحافظ ابن حجر: وقال النووي: " معناه أنك إنما تراعى الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك، لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك، فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك، قال: وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيتها صلى الله عليه وسلم وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعا من التلبس بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله مطلعاً عليه في سره وعلايته؟ "¹⁸⁷

¹⁸⁵ رواه أبو داود في السنة 14، والترمذي في الرضاع 11 ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم 751.

¹⁸⁶ سبق تخريجه (في أهداف التربية الإسلامية) ص 25.

¹⁸⁷ فتح الباري لابن حجر، ج1 ص80، باب سؤال جبريل عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ. لقد بحثت هذا الكلام عن النووي في شرح صحيح مسلم والمجموع ورياض الصالحين والاذكار، فما وجدت...

والأخلاق دائرة بين الأعمال والألفاظ ؛ فالكرم والشجاعة من الأعمال ، والكلمة الطيبة من الألفاظ ، فمن زادت أخلاقه وارتفعت فإن ذلك دليل على قوة إيمانه .

وقوة الإيمان تمنع ارتكاب المنكرات السلوكية، وتمنع التخلي عن الفضائل الخلقية .

وتتبن علاقة العقيدة بالأخلاق من خلال أمور منها :

الأول : الأخلاق الحميدة من ثمرات الإيمان . ومن أمثلة ذلك :

(1) اقتضاء الإيمان للعدل ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ} المائدة 8 .

(2) اقتضاء الإيمان للصدق، قال الله تعالى : {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} المائدة 119

(3) اقتضاء الإيمان الحياء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الإيمان بضع وستون شعبة ... والحياء شعبة من الإيمان)).¹⁸⁸

(4) اقتضاء الإيمان للكرم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))¹⁸⁹.

(5) اقتضاء الإيمان للحب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم))¹⁹⁰.

(6) اقتضاء الإيمان للصبر والشكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))¹⁹¹.

الثاني: منافاة الأخلاق السيئة للإيمان الكامل ، ومن أمثلة ذلك :

(1) منافاة السخرية والاستهزاء للإيمان ، قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ } الحجرات 11.

(¹⁸⁸) رواه البخاري في الإيمان، باب أمور الإيمان ح 9. ومسلم في الإيمان ح 35. وأبوداود في السنة ح 14. و الترمذي في الإيمان ح 6.

(¹⁸⁹) رواه البخاري في الأدب ح 31. ومسلم في الإيمان ح 74.

(¹⁹⁰) رواه مسلم في الإيمان ح 93.

(¹⁹¹) رواه مسلم في الزهد ح 64 ، والدارمي في الرقاق ، وأحمد .

(2) منافاة سوء الظن والتجسس والغيبة للإيمان ، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنُمُوهُ} الحجرات 12.

(3) منافاة الكذب والإخلاف والخيانة للإيمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان))¹⁹².

(4) منافاة إيذاء الجار للإيمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره))¹⁹³.

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة تدل على أن الإيمان يقتضي الخلق ، وينتفي بانتفاء الخلق ، ولكن هل المقصود بانتفاء الإيمان هو الكفر؟

الجواب : لا ؛ وإنما المقصود في هذه الأحاديث النفاق العملي لا العقدي ، فإذا أخل المؤمن بالأخلاق فلا يعني أنه خرج من الإسلام ولكنه مرتكب لمعصية .

المطلب الرابع : الآثار المادية

يمكن بيان آثار الإيمان المادية في الفرد بواسطة جزئين أساسيين مهمين، يمثلان حياة الإنسان في جانبه المعيشي، هما:

1 - الجانب الكسبي المالي. 2 - الجانب الصحي البدني.

فنظام الشارع في كلا الجانبين نظام عادل حكيم ، حيث يقضي الإنسان حاجته وينال بغيته بدون تعدد للنفس أو ظلم للغير.

أولاً: الجانب الكسبي المالي:

فجعل من مقتضيات الإيمان تحري الحلال واجتناب الحرام في حالة الكسب والعمل ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات } وقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم } ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنر يستجاب له))¹⁹⁴.

(192) رواه البخاري في الإيمان، باب علامة المنافق ح 33. ومسلم في الإيمان ح 59.

(193) رواه البخاري في الأدب، باب إكرام الضيف. ومسلم في الإيمان ح 8185.

(194) رواه مسلم في الزكاة، باب 65.

وعنه صلى الله عليه وسلم ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي ربه عز وجل حتى يسأل عن ماله من اكتسبه وفيه أنفقه))¹⁹⁵.

ولما كان الأمر كذلك؛ كان لزاما على الإنسان أن يعرف الحلال والحرام وخاصة في مجال المعاملات المالية لكثرة ما يقع فيها من المحرمات . قال مصطفى مراد¹⁹⁶ : " يجب على كل مسلم ومسلمة أن يكون لهما معرفة تامة بما تصح به المعاملة ، وربما تفسد به سواء أكانت هذه المعاملة بيعا أو شراء أو شركة أو استعارة أو قرضا ... فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان يطوف بالسوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول : ((لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الربا ، شاء أو أبى)) إلى أن قال : " وقد أهمل كثير من المسلمين الآن فقه المعاملات لأنهم انشغلوا بالأفلام والمباريات ، والجري وراء الشهوات والموبقات ، وهذه خطأ كبير " .¹⁹⁷

ثانياً: الجانب الصحي البدني:

وأما في جانب بدن الإنسان ، فلم يعتن دين ولا شريعة بصحة الإنسان والاهتمام بها اهتمام الإسلام بسلامة الجسم والمحافظة عليه ، ولذا قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لبدن الإنسان عليه حقا ، فقال : ((فإن لجسمك عليك حقا))¹⁹⁸.

ولا شك أن التعاليم الإسلامية قائمة على أساس حفظ الجسم ونموه وسلامته ، وأن سبب تحريم كثير من الأمور هو أن فيها ضررا على البدن ، وقد قال الله تعالى : {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } البقرة 195. قال الشوكاني : " فكل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا ، وبه قال ابن جرير الطبري. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم¹⁹⁹ عن زيد بن أسلم²⁰⁰ قال : كان رجال يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير نفقة

(195) رواه الترمذي في القيامة - باب صفة القيامة . حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (946)

¹⁹⁶ مصطفى مراد: من مواليد الناصرة بفلسطين في 1 / 4 / 1958م. تخرج من جامعة تل ابيب عام 1984 م. فاز عام 2004م بالجائزة الأولى للقصة من كلية التربية واعداد المعلمين في بيت بيرل. ترك الدراسة الجامعية لشهادة الماجستير وانخرط في العمل السياسي والصحفي، تقاعد عن العمل عام 2003 م لأسباب صحية. من موقع: <http://ar.wikipedia.org/wiki> بتاريخ 25 / 02 / 2011م.

(197) منهاج المؤمن ص 490 . دار الفجر القاهرة ط الثانية 1425هـ 2004م
¹⁹⁸ رواه البخاري في الأدب .

¹⁹⁹ ابن أبي حاتم الرازي (240 - 327 هـ = 854 - 938 م) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل) و (التفسير). انظر: الأعلام، 3 ص 324.

²⁰⁰ زيد بن أسلم (000 - 136 هـ = 000 - 753 م)، زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله: فقيه مفسر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته. وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. وله كتاب في (التفسير). انظر: شذرات الذهب ج 1 ص 188. و الأعلام، ج 3 ص 56.

، فإما يقطع الهم ، وإما كانوا عيالا، فأمرهم الله أن يستنفقوا مما رزقهم الله، ولا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، والتهلكة أن تهلك رجال من الجوع والعطش ومن المشي".²⁰¹

ومن مسالك حفظ الإسلام لصحة المرء ما يأتي :

1- الأمر بالطهارة والنظافة :

المسلم مأمور بالوضوء ، والغسل ، وطهارة البدن والثوب والبقة، والسواك ،

والاستنجاء ، ونحو ذلك عند القيام ببعض الأعمال التعبدية.

ومأمور بحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظافر، وهو كذلك منهي عن قضاء الحاجة في المياه الراكدة ، وأمكنة جلوس الناس ، أوحيت يمرون.

وفي ذلك آيات وأحاديث، وتفريعات فقهية مبثوثة في مواطنها .

2 -النهى عن أكل الخبائث :

وهي تلك التي تؤدي إلى انهيار الجسم والصحة ، وإلى تعطل المسلم عن أداء واجباته تجاه ربه ونفسه وأمتة .

قال الله تعالى : { حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ... } المائدة 3.

3 - ضبط الأكل والنوم كما وكيفا :

الغذاء والنوم ضرورتان لحياة الإنسان ، يؤثران تأثيرا مباشرا على صحته وقدرته على العمل والحركة، وبما أن الحياة لا تصح بدونها، فإن الإفراط فيهما يؤدي إلى نتائج مؤذية كذلك، قال الله تعالى : { يا بني آدم خذوا زينتك عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يجب المسرفين } الأعراف 31، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((طعام الاثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة))²⁰².

وقال الله تعالى : { وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا } الفرقان 47، وروى البراء بن عازب²⁰³ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا أتيت مضجعا فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على الشق الأيمن ...)) الحديث²⁰⁴

²⁰¹ فتح القدير 1/ 349 - 350 ، دار الوفاء المنشورة ، ط السادسة 1429 هـ 2008م

(²⁰²) رواه البخاري ، باب طعام الواحد يكفي الاثنين.

²⁰³ البراء بن عازب (000 - 71 هـ = 000 - 690 م)، البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة: قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيرا

وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة غزوة، توفي في زمن مصعب ابن الزبير. انظر: الإعلام، ج 2 ص 46.

وعن أبي أمامة²⁰⁵ رضي الله عنه قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل نائم في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله ، وقال : ((قم أو اقعد فإنها نومة جهنمية))²⁰⁶.

4 - التحذير من الأمراض والأمر، والأمر بالتداوي :

ولقد حث القرآن والسنة على تجنب الإصابة بالأمراض المؤدية للسارية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا بأرض فأنتم بها فلا تخرجوا منها).²⁰⁷ وقال أيضا: ((فر من المجزوم فرارك من الأسد)).²⁰⁸

وقال أيضا: (إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا)²⁰⁹.

كما أمر صلى الله عليه وسلم بالتداوي في أحاديث كثيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)²¹⁰.

وبإلقاء نظرة خاطفة، وفكرة تأملية هادئة إلى هذه التشريعات الجلية يتبين أنها تقرر للإنسان ما ينبغي أن يكون عليه في طلبه للرزق وفي كيفية استهلاكه وتناوله له، وراحته، وتؤكد أن يحفظ المرء سلامة بدنه من الأوبئة والأمراض، حتى يعيش بعيدا سالما من الأضرار المالية والبدنية.

المبحث الثاني : آثار التربية الإيمانية في المجتمع.

وفيه تمهيد خمسة مطالب:

تمهيد:

(²⁰⁴) رواه البخاري في الغسل، باب فضل من بات على الوضوء، ح 247 .

²⁰⁵ ثمامة بن أثال (000 - 12 هـ = 633 - 634 م)، ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي، من بني حنيفة، أبو أمامة: صحابي، كان سيد أهل اليمامة، له شعر. ولما ارتد أهل اليمامة في فتنة (مسيلمة) ثبت هو على إسلامه، ولحق بالعلاء بن الحضرمي، في جمع ممن ثبت معه، فقاتل المرتدين من أهل البحرين. وقتل بعيد ذلك. انظر: شذرات الذهب، ج 1 ص 190. والأعلام ج 2 ص 100.

(²⁰⁶) رواه ابن ماجه، باب النهي عن الاضطجاع على الوجه، ح 3725، بسند ضعيف .

(²⁰⁷) رواه البخاري، باب ما يذكر في طاعون .

(²⁰⁸) رواه البخاري، باب المجزوم.

²⁰⁹ رواه البخاري عن أبي هريرة باب إذا شرب الكلب (172).

²¹⁰ رواه البخاري كتاب الطب (5678).

يمكن القول أن الآثار التربوية الإيمانية في المجتمع لا تتفك كثيرا عن آثار التربية الإيمانية في الفرد، لأن الفرد يعتبر جزءا أساسيا ومكونا رئيسا للمجتمع.

وإنما يتميز أي مجتمع من المجتمعات البشرية في العالم في أي زمن من الأزمنة بأفراد وطنه وأبناء ديار، فإما أن يكونوا صالحين في أنفسهم مصلحين لغيرهم، أو العكس .

ولذلك " جعل الإسلام مجمل العهد الذي يعطيه المؤمن لله جلا وعلا: أن يعيش لنفسه وغيره، ويقر إقرارا نفسيا بأن له حقوقا وعليه واجبات.

له حقوق بقدر ما يبذل من نفسه في سبيل معاشريه وجماعته العامة، وعليه واجبات بقدر ما يعد نفسه إعدادا يجعلها تعرف في وضوح أنها ليست وحدها في هذه الحياة، وإن مشاركيها في هذه الحياة لهم حقوق قبلها يتعين أدائها".²¹¹

وإذا علمنا الفرد الذي صنعه التربية الإيمانية ظهرت لنا ملامح مجتمعه، وأشرقت أمامنا مستقبل حياته وجماعته بالنهوض والصلاح والنجاح، إذا كانت تربية كاملة وشاملة و، حياة وفعالة، وإلا فأَيّ نقص في تربية الفرد الإيمانية سوف ينقلب سلبا على المجتمع علمنا ذلك أم جهلناه أو تجاهلناه.

وآثار التربية الإيمانية في المجتمع كثيرة وواضحة، مرتبطة بعضها بالآخرى، وسأحاول في هذا المبحث - إن شاء الله- ترتيب تلك وتفصيلها بقدر الإمكان في خمسة مطالب :

المطلب الأول : الإتحاد و الأخوة

إنّ من أوضح تعاليم الإسلام، وألزم خلال المسلمين المخلصين، ائتلاف القلوب والمشاعر، واتحاد الغايات والمناهج، كما أن من أهم أسباب بقاء الدولة الإسلامية وأبرز أسرار نجاح رسالتها، توحيد الصفوف واجتماع الكلمة.

²¹¹ الإسلام في الحياة المسلم. د/ محمد الفقي ص 243 - 244 مكتبة وهبة.

وقد تضافرت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تدعو المسلم على المشاركة في الحياة الجماعية والامتزاج بالمجتمع الإسلامي.

قال الله تعالى في سورة آل عمران: { واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا } 103.

قال صاحب التفسير المنير: " ثم أمر بالاعتصام بكتاب الله وعهده إلى الناس، ونهي عن التفرقة عنه أبدا، والتزام الألفة والاجتماع على طاعة الله والرسول صل الله عليه وسلم، وحبل الله: هو الإيمان والطاعة والعمل بالقرآن، لقوله صل الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذي²¹²: « القرآن حبل الله المتين، ونوره المتين، لا تنقضي عجابه، ولا تفني غرائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هدي إلي صراط مستقيم ".²¹³

وقد شرع الله تعالى جل الشعائر التعبدية التي هي أخص ما بين العبد ربه جماعة في أزمنة وأمكنة متحدة، مثل الصلوات المفروضة والجمع والأعياد والحج والصوم، والجهاد، وغيرها.

كل ذلك تحت ظل الأخوة الإيمانية ذلك الرباط الذي يقوم على منهج الله، وينبثق من التقوى، ويرتكز على الاعتصام بحبل الله، وهي صفة ملازمة للإيمان وخصلة مرافقة للتقوى، إذ لا أخوة بدون إيمان، ولا إيمان بدون أخوة، قال الله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } حجرات 10.²¹⁴

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ».²¹⁵

ويقول: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » أو بلفظ: « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ».²¹⁶

²¹² الترمذي، أبو عيسى (209 - 279هـ، 824 - 892م). حمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، مصنف كتاب الجامع، حافظ، علم، إمام، بارع. كان يضرب به المثل في الحفظ. هذا مع ورعه وزهده. صنف الكثير، تصنيف رجل عالم متقن. ومن تصانيفه: كتابه الشهير الجامع؛ العلل؛ الشمائل النبوية وغيرها. انظر: شذرات الذهب، ج 2 ص 173.

²¹³ التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي ج 3، ص 28، دار الفكر بيروت ط1، 1411هـ - 1991م

²¹⁵ رواه البخاري في الصلاة ح 481. ومسلم في البر ح 2585

²¹⁶ البخاري في الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (7).

يتبين من هذه الآيات والأحاديث أن التضامن الاجتماعي من مقتضيات الإيمان الكامل، وأن من لم يُلق بالآ على إخوانه المسلمين، ولم يتفقد حال المساكين، ولم يلتفت إلى الضعفاء ويقف بجانبهم أنه مهما بلغ من العبادة والصالح ومهما أحسن ما بينه وبين ربه، فإن إيمانه لا زال ناقصاً، وعقيدته ما زالت على عتبة تحتاج إلى إصلاح وتوثيق وترميم.

ونحن- اليوم- أمة يعاني أغلب سكانها الفقر والجوع والأوبئة والأمراض والجهل، بجانب فئة تملك مليارات لا تعد ولا تحصى، لا يستثمرها إلا أعداؤها ثم يصبون عليها أضرارها!!
أليس هذا من مظاهر الضعف الإيماني، ومصدّق غياب التربية الإيمانية على ساحة الأمة الإسلامية؟!

المطلب الثاني : التكافل والتضامن .

إن من أهم الأسس التي ركّز عليها الإسلام لتحقيق الحياة الكريمة للفرد التكافل والتضامن الاجتماعي، فأوجد أشكالاً عديدة من العطاء الديني التي من خلالها يتحقق التكافل، ومن بينها: الزكاة والصدقة والوقف والكفارات والنذور ... والمطلوب ألا يقتصر العطاء على سد الاحتياجات الأساسية للإنسان، بل ليوصله أيضاً إلى حدّ الكفاية والغنى، قال عمر بن الخطاب: «إذا أعطيتم فأغنوا».²¹⁷

وذلك إما عن طريق توفير فرص العمل أو المساعدة في عمل مشروعات صغيرة ونحو ذلك.

والتكافل الاجتماعي ينقسم إلى قسمين كما ذكر العلماء :

1 -التكافل المادي. 2- والتكافل المعنوي.

فلا تقتصر احتياجات الإنسان على المال فقط، ولكن تتضمن أشياء أخرى مثل : التوجيه والإرشاد، والصدقة والتعليم وغير هذا مما لا يناله الفرد إلا من بني جنسه.

فالتكافل على هذا المفهوم مفروض من كل شخص مهما تكن مهنته وحالته، فعلى الكل مسؤولية حلّ المشكلات الاجتماعية ولو بأقل القليل.

²¹⁷ أصول المجتمع الإسلامي، جمال الدين محمود، ص 140، ط دار الكتاب العربي. والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف باب ما قالوا في الزكاة قدر ما يعطى. وعبد الرزاق في مصنفه باب قسم المال.

ولقد ظهر مفهوم التكافل الاجتماعي في كثير من الآثار القرآنية والأحاديث النبوية منها قول الله تبارك وتعالى : {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} التوبة 71.

وقوله : {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} الأنفال 2- 3.

كما وردت في السنة كثير من الأحاديث التي تحت المسلمين على التآخي والإيثار من أجل الآخرين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أنس بن مالك : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لا يحبه إلا الله، ومن كره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».²¹⁸

قال النووي – رحمه الله - : " هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام، قال العلماء رحمهم الله : معنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبة رسوله صل الله عليه وسلم " .²¹⁹

هذه الآيات والأحاديث يتلقاها المؤمن بصدر رحب وعقل خصب، فيذعن لها ويعيش معها، فينطلق إلى إخوانه ولسانه حاله : « المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ».²²⁰

المطلب الثالث : التناصح والتسامح .

إن من حق الأخ على أخيه المسلم أن يُبَصِّرَه وينصح له إبقاء على حق الأخوة، ودفعاً للأذى عن أخيه وعن المجتمع كله.

²¹⁸ رواه البخاري في الإيمان ح 16 . ومسام في الإيمان ح 43.

²¹⁹ شرح صحيح مسلم، ج 1- 2، ص 203.

²²⁰ رواه البخاري في المظالم. ومسلم في البر. وأبو داود في الأدب والترمذي في الحدود. وابن ماجه في المقدمة.

فإن من المعلوم أنه ليس من البشر من لا يخطئ ولا ينحرف عن سنن الحق، وفي الإنسان من الغرائز والطباع ما يميل به إلى الرشد والغي، والخير والشر، وليس كل إنسان يعرف خطأه أو يهتدي إليه، ولذلك نرى أنه لم يخل بها دين من الأديان السماوية، ولم يأت رسول إلا دعا إليها، فقد قص القرآن على لسان نوح عليه السلام: {أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ} الأعراف 68.

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ البيعة من الصحابة عليها ضمن أفعال ثلاثة، فعن جرير بن عبد الله²²¹ - رضي الله عنه - قال: «بايعت رسول الله صل الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»²²².

وعلى هذا يكون في نفس المؤمن أن النصيحة فضيلة من الفضائل وأساس من أسس مكارم الأخلاق وركن من أركان العلاقات الاجتماعية وقاعدة من قواعد الدعوة إلى الله تعالى، فالمؤمن لا يعرف الانفرادية كما أسلفت ولا الأنانية، فأمامه حديث النعمان بن بشير²²³ - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا وأهلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»²²⁴.

وهذه النصيحة عامة تدخل في جميع وجوه الخطأ التي يمكن أن تبدر من الشخص، وليست قاصرة في الذنب الذي يقتضيه العبد في حق الله، أو أخطأ في حق الغير فقط، بل حتى ولو أخطأ تجاه شخص ما فلا ينتظر هذا من غيره أن ينصححه وينبهه، فالذي ينبغي عليه هو أن يقوم بإسداء النصيحة الأخوية على هذا المخطئ أو الظالم.

²²¹ جرير بن عبد الله بن جابر وهو الشليل بن مالك بن نصر، أسلم جرير قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً وكان حسن الصورة، وكان له في الحروب بالعراق: القادسية وغيرها أثر عظيم. أقام بالكوفة ولما أتى علي الكوفة وسكنها سار جرير عنها إلى قرقيسياء فمات بها. انظر: أسد الغابة ج 1 ص 176.

²²² أخرجه مسلم في الإيمان 57.

²²³ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيِّ. الْأَمِيرُ، الْعَالِمُ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَابْنُ صَاحِبِهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ - الْأَنْصَارِيُّ، الْحَزْرَجِيُّ، ابْنُ أُخْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ. وَوُلِدَ النُّعْمَانُ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ؛ وَعَدَّ مِنَ الصَّحَابَةِ الصِّبْيَانِ بِاتِّفَاقٍ. قِيلَ: إِنَّ النُّعْمَانَ لَمَّا دَعَا أَهْلَ حِمْصَ إِلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، دَجَّوهُ. وَقِيلَ: قُتِلَ بِعَرَبِيَّةٍ بِبَرْقِ، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ خَلِيفَةَ بَعْدَ وَقْعَةِ مَرْجٍ زَاهِطٍ، فِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-. انظر: سير أعلام النبلاء، ج 5، 206.

²²⁴ رواه البخاري في الشركة ح 2493. والترمذي في الفتن ح 12.

روى البخاري عن مسدد: حدثنا معتمر، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» وفي رواية: «قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذوا فوق يده».²²⁵

فهذه هي القاعدة التي قررها الإسلام في علاقة المسلم بأخيه المسلم. وأما علاقة المسلم بغير المسلمين ممن يدينون بأديان أخرى فإن مبدأ المعاملة معهم في الإسلام هو التسامح والمسالمة والأمن وعدم الاعتداء إلا إذا اعتدى هو. وفي ذلك آيات كثيرة وأحاديث عديدة فمن الآيات:

1 - قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات 13.

2 - قوله: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } البقرة 285.

3 - قوله: { وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } العنكبوت 46. وأما الأحاديث فمنها:

1 - قوله صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة».²²⁶

2 - وعن عبادة بن الصامت²²⁷ أنه قال: «يا نبي الله أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله والتصديق به والجهاد في سبيله، قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله، قال: «السماحة والصبر»²²⁸.

ولقد استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران²²⁹ وسمح لهم بإقامة الصلاة في المسجد بنفسه²³⁰.

²²⁵ رواه البخاري في المظالم، ومسلم في البر.

²²⁶ رواه البخاري تعليقا في كتاب الإيمان باب الدين يسر.

²²⁷ عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري، ابن قيس بن أصرم. الإمام، القدوة، أبو الوليد الأنصاري، أخذ الثقباء ليلة العقبة، ومن أعيان بدرين، سكن بيت المقدس. كان رجلاً طويلاً، جسيماً، جليلاً. مات: بالرملة، سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: سير الأعلام، ج 3 ص 1.

²²⁸ رواه أحمد في المسند ج 5 ص 319. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج 334.

²²⁹ نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة. والمخاليف هي الأطراف والنواخ. انظر: لسان العرب، باب (خلف).

²³⁰ السير النبوية / لابن هشام ج 4 ص 95 ط / دار الكتاب العربي.

كما قبل هدية من المقوقس²³² في مصر، وهي الجارية التي أنجبت إبراهيم ولده ثم وقف وقال : « استوصوا بالقبط خيرا فإنّ لي فيهم نسبا وصهرا »²³³.

وهناك أدلة أخرى من هديه صلى الله عليه وسلم تدلّ على مسامحته صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين وقبوله العيش معهم تحت رحاب السلام والوئام والاحترام، وبقائه على ذلك الاتفاق مهما التزم الجانب الآخر بالشروط المتفق عليها، وذلك واضح في معاملته مع اليهود في المدينة وخيبر.

وهذا عمر – رضي الله عنه – يطبق ما رسمه القرآن والسنة للدعاة حين دخل بيت المقدس فأعطى الأمان لسكانها من النصارى ألا تسكن مساكنهم ولا تهدم ولا ينقص من أموالهم شيء ولا يكرهون علي دينهم.²³⁴

فالإسلام من جهته يعترف بوجود الغير المخالف فردا كان أو جماعة، ويعترف بشرعية ما لهذا الغير من وجهة نظر ذاته في الاعتقاد والتصوّر والممارسة، وقد شهد بعض علماء الغرب على تسامح المسلمين مع غيرهم، منهم : توماس أرنولد²³⁵ في كتابه (الدعوة إلى الإسلام)، قال : " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة وحرية، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح ".²³⁶

²³² المقوقس صاحب مدينة الاسكندرية، اسمه جريج بن مينا القبطي. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة إليه فقبل الكتاب وأكرم حاطبا وأحسن نزله وسرحه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى له مع حاطب كسوة وبغله بسرجهما وجاريتين، إحداهما: مارية القبطية أم إبراهيم. وأما الأخرى فهي: أختها سيرين التي وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ج 4 ص 180.

²³³ انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص 93. و الطبقات الكبرى ابن سعد ج 8 ص 212 ط دار صادر.

²³⁴ انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، باب فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب. وسير الأعلام النبلاء، للذهبي. (قصة أبي عبيدة)

²³⁵ توماس ووكر آرنولد Thomas Walker: Arnold (1280 - 1349 هـ = 1864 - 1930 م)، مستشرق انكليزي، من أهل لندن. له كتب بالانكليزية في (تعاليم الاسلام) و (المعتزلة) و (الخلافة) وقد ترجم الاخير إلى العربية وطبع. وله كتب بالانكليزية أيضا في الفن والرسم الاسلاميين، قال أربري: كان أرنولد مرجعا في الشؤون الاسلامية. الأعلام للزركلي، ج 2 ص 94.

²³⁶ الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، لتوماس أرنولد، ص 183، ترجمة إلى العربية: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 3.

ولكن مع ذلك كله فإنه ينبغي أن نعيّ إلى أن التسامح لا يعني بأيّ حال من الأحوال التنازل عن المعتقد أو الخضوع لمبدأ المساومة، وإنما يعني القبول بالآخر والتعامل معه على أسس العدالة والمساواة بصرف النظر عن أفكاره وقناعاته الأخرى.²³⁷

المطلب الرابع : العمل والإنتاج:

هذا التأخر المؤسف الذي يشهده المسلمون في هذه الفترات نتيجة الخمول والكسل وهذا اللهو الذي جاوز الحد بجانب الغفلة والانغماس على الشهوات والملذات، والله إنه ليس من تعاليم دينهم ولا من هدي نبيهم ولا من تركة أسلافهم، فالأصل أن المؤمن يوقن أن السعادة في الآخرة والنجاح في الدنيا موقوف على إنتاجه، لأن الجنة ليست جزاء لأهل الفراغ والكسالى والبطالين، بل لأهل الجدّ والعمل والإتقان، قال الله تعالى: { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } الزخرف 72.

فيندفع إلى البذل بإرادة تامة ويتجه إلى العمل بجدية خالصة ينبعثان من داخله لا سوط يسوقه من الخارج وذلك الباعث الذاتي هو الإيمان بالله ربا وبالأخرة موعدا وبأن مهمته هي عمارة الأرض.

" فقد حث الإسلام على العمل وشجع عليه وبين أن الإيمان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمل، وبين أن الإنسان يجزى بما عمل قال تعالى: { وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } (39) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) { النجم: 39 - 41. ²³⁸

فمن القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى العمل والإنتاج، قال الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } النحل 14.

وقال تعالى : { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } الجمعة 10.

²³⁸ الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، علي بن نايف الشحوذ الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009م، ماليزيا، بهانج- دار المعمور.

والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد بأفعاله وأقواله قيمة العمل في الإسلام؛ فعمل صلى الله عليه وسلم برعي الغنم²³⁹ والتجارة²⁴⁰، وشارك صحابته الكرام في بناء مسجده الشريف بالمدينة المنورة²⁴¹، وفي حفر الخندق الذي حصنت المدينة في غزوة الأحزاب.²⁴²

وما انفك يعمل في ميادين الحياة بيده ويحث المسلمين على العمل وينفرهم من الاتكال والكسل إلى درجة تفضيل العمل على العبادة، عن جابر - رضي الله عنه - قال ذكر رجل عند النبي صل الله عليه وسلم بعبادة واجتهاد، وذكر آخر عنده برعة فقال النبي صل الله عليه وسلم: « لا يعدل بالبرعة²⁴³ ».²⁴⁴

وجعل الرسول ما ينتجه الفرد ليأكل منه هو أفضل الأطعمة، لما فيه من إحساس بالحرية والعزة، فقال: « ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده »²⁴⁵ وعن عباية بن رافع بن خديج، عن أبيه، قال: قيل يا رسول الله أي الكسب أطيب؟ قال: " كسب الرجل بيده، وكل بيع مبرور " .²⁴⁶

وطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس ألا يحقروا عملا مهما كان نوعه ما دام يعود بالنفع على الفرد والمجتمع، وأن ما ينظر إليه من الأعمال على أنه حقير هو خير للفرد من أن يكون عالة على غيره وهو قادر على العمل، يقول صلى الله عليه وسلم: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»²⁴⁷. وعن أبي هريرة - رضي الله

²³⁹ انظر: صحيح البخاري باب: باب رعي الغنم على قراريط. والسيرة النبوية، لابن هشام، في ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

²⁴⁰ انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، في حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة - رضي الله عنها.

²⁴¹ انظر: البداية والنهاية، ج3 ص216. والروض الأنف، لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، باب: حول بنيان المسجد، ج2 ص336.

²⁴² انظر: الروض الأنف، في حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين، ج3 ص419.

²⁴³ والرعة: قال ابن الأثير: الاحتشام والكف عن سوء الأدب، وقال المباركفوري: قوله (بالعبادة والاجتهاد) أي في العبادة (لا يعدل) بصيغة المجهول، والرعة بكسر الراء أي الورع، أي لا يعدل بكثرة الورع خصلة غيرها من خصال الخير بل الورع أعظم فضلا. انظر: النهاية في فريب الحديث، لابن الأثير، باب الواو مع الراء ج 5 ص385، وانظر: تحفة الأحوذى للمباركفوري، ج 7 ص188.

²⁴⁴ رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق، وقال: حديث حسن غريب.

²⁴⁵ رواه البخاري، في البيوع من حديث المقداد .

²⁴⁶ رواه المنذري، في الترغيب والترهيب، كتاب البيوع. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

²⁴⁷ رواه البخاري في البيوع باب [15] باب كسب الرجل وعمله بيده، من حديث أبي هريرة. قال الحافظ ابن حجر في الفتح: " قوله: " باب كسب الرجل وعمله بيده " عطف العمل باليد على الكسب من عطف الخاص على العام، لأن الكسب أعم من أن يكون

عنهم - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلُهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ».²⁴⁸

وعلى هذا سار الصحابة - رضي الله عنهم - فكانوا يقبلون على العمل بكل عزيمة ونشاط، ولا يجدون فرصة يوجهون فيها الناس إلى الإنتاج إلا وانتزهوها، فهذا عمر - رضي الله عنه - ينهر العاطلين المتوكلين، فيقول: " لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ".²⁴⁹

وهكذا فقد أوصل المسلمون دينهم إلى أقصى مناطق الدنيا بعملهم وجدهم وإخلاصهم فقد كانوا دعاة عبادة تجارا عمارا، وفي آثارهم السابغة لوجه المعمورة مصداقا لذلك.

250

المطلب الخامس : رعاية الحقوق وأداء الواجبات :

معلوم أن المجتمع مكوّن من راع ورعيته، ولكل منهما واجبه وحقه، وأكثر من في الأرض مطبوع على إهمال الواجبات ومطالبة الحقوق.

ولا تستطيع القوانين الوضعية ولا الأنظمة الإنسانية البحتة أن تدفع واحدا منهما على أداء الواجبات التي هي حق للجانب الآخر، و الواقع يوضح ذلك؛ فالرئيس دائما يحاول أن يخدع شعبه بأدنى فرصة يجدها أمامه، والمواطن لا يلتزم بقوانين الدولة إلا خوفا من العقاب المقرر للجاني والمعتدي، بل أكثر الناس لا يميزون بين الحق والواجب، فالحق عند أغلبهم هو ما يواتي شهواتهم، كما أن الواجب عندهم لا ترتبط بأي أجر أو ثواب، ولا يصدر طواعية من النفس.

عملا باليد أو بغيرها. وقد اختلف العلماء في أفضل المكاسب. قال الماوردي: أصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة، والأشبه بمذهب الشافعي أن أطيبيها التجارة، قال: والأرجح عندي أن أطيبيها الزراعة لأنها أقرب إلى التوكل. وتعبه النووي بحديث المقام الذي في هذا الباب وأن الصواب أن أطيّب الكسب ما كان بعمل اليد، قال: فإن كان زراعا فهو أطيّب المكاسب لما يشتمل عليه من كونه عمل اليد، ولما فيه من التوكل، ولما فيه من النفع العام للأدعي وللدواب، ولأنه لا بد فيه في العادة أن يوكل منه بغير عوض. قلت: وفوق ذلك من عمل اليد ما يكتسب من أموال الكفار بالجهاد وهو مكسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى وخذلان كلمة أعدائه والنفع الأخروي، قال: ومن لم يعمل بيده فالزراعة في حقه أفضل لما ذكرنا. قلت: وهو مبني على ما بحث فيه من النفع المتعدي، ولم ينحصر النفع المتعدي في الزراعة بل كل ما يعمل باليد فنفعه متعد لما فيه من تهيئة أسباب ما يحتاج الناس إليه. والحق أن ذلك مختلف المراتب، وقد يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والعلم عند الله تعالى. قال ابن المنذر: إنما يفضل عمل اليد سائر المكاسب إذا نصح العامل، كما جاء مصرحا به في حديث أبي هريرة. قلت: ومن شرطه أن لا يعتقد أن الرزق من الكسب بل من الله تعالى بهذه الوساطة، ومن فضل العمل باليد الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو وكسر النفس بذلك والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير". فتح الباري، ج 4 ص 304، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.

²⁴⁸ رواه البخاري، باب الاستعفاف عن المسألة.

²⁴⁹ نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، لعبد الحي الكتاني، ج 2 ص 23، دار الكتاب العربي، بيروت.

والإيمان الصحيح هو الذي يمنح الإنسان قوة الإرادة وتمام الرغبة في القيام بالواجبات، وعدم الإفراط في مطالبة الحقوق " لأن الواجب في الشريعة الإسلامية هو كل ما أوجبه المشرع - جل شأنه - على الشخص والجماعة، وكل ما من شأنه أن يحقق كرامة الإنسان ومصالحه وأمنه في إطار مصالح الجماعة وأمنها وفق إرادة الله تعالى.

وأما الحق فهو المصلحة الثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستثمار ويقرره المشرع الحكيم.

فالحق في الإسلام مقيد بمراعاة مصلحة الآخر وعدم الإضرار بالجماعة " ²⁵¹.

ومن الحقوق التي قررها الإسلام للفرد : حق الحياة والكرامة والحرية والمساواة والاعتقاد والتعلم والرعاية.

وفي مقابلها واجبات تجاه ربه وتجاه والديه أسرته وتجاه المجتمع وولاية الأمور.

فأوجب الإسلام على الفرد السمع والطاعة للحاكم من غير معصية الله، كما أوجب له النصح وإعانتة النهوض لمسؤولياته في تحقيق مصالح الرعية، ويحذر الإسلام من الخروج على سلطان ولاية الأمور والتمرد على أوامرهم إلا في حالة نقض الحاكم العهد مع الله وفق شروط الولاية ، قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } سورة النساء 59.

وقال رسول الله صل الله عليه وسلم : « أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة ولو تأمركم عبد حبشي » ²⁵².

كما قرر الإسلام واجبات تجاه الرعية تكمن في إصلاح الدين والدنيا معا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع ومسئول عن رعيته ... الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ... » ²⁵³.

²⁵¹ مستفاد من موقع المنتدى الإسلامي العالمي للحوار dialogueonline.org. بتاريخ 16 / 04 / 204م.
²⁵² رواه أبو داود في السنة 5. والترمذي في العلم 16. وابن ماجه في المقدمة. وصححه الألباني. في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، باب في ذكر السمع والطاعة، ج 2 ص 233، المكتب الإسلامي - بيروت. ط 3 - 1413-1993م.
²⁵³ رواه البخاري في الجمعة 6893. ومسام في الإمارة 1829.

ومن تلك الواجبات التي تخصّ الراعي المسلم :

- حب الرعية.
 - رعاية مصالحها على أتم وجه.
 - النصح للرعية.
 - رعاية الفقراء والعجزة والمرضى.
 - بث الهداية في المجتمع.
 - الحجر على السفهاء.
 - الأخذ على أيدي الأثمين.
 - بث روح الجهاد في المجتمع.
 - الرأفة بالناس.
 - تحكيم الشريعة في كل الأمور.
 - تشجيع العلماء والعلم.
 - تطوير المجتمع والنهوض به.
 - الشورى.
 - رعاية حقوق الأقليات غير المسلمة.
- ولا نجد ما يكفل لتطبيق هذه الحقوق والواجبات على الوجه الصحيح الدائم إلا التربية الإيمانية التي هي روح النظام الحكمي في الإسلام.
- " وعلى أيّة حال فإن النظام السياسي الذي أتى به الإسلام ووضع عليه الإيمان بصماته نظام لم تعرف البشرية إلى الآن_ ولن تعرف إلى الأبد_ له مثيلاً، إن النظام السياسي الإسلامي يقوم على الصدق والمصارحة بين الراعي والرعية لما فيه مصلحة الطرفين ومصلحة الإسلام قبل ذلك وبعده" ²⁵⁴.

وأما هذه الأنظمة العلمانية والاتجاهات الإلحادية التي طغت على العالم اليوم فإنها عدو الحياة وما حية التدين ومزيله العدالة، إنّها قائمة على الظلم ونشر الانحراف، تحت على معارضة

²⁵⁴ أهمية الإيمان وأثره في الفرد والمجتمع، لمحمد رفعت بخير، ص 191، ط دار الثقافة، 1409هـ.

المجتمع للحكام بإنشاء أحزاب سياسية تنازع في الحكم والرئاسة وتسعى إليه بجميع الوسائل معتمدة على الكذب والخيانة والخداع وكشف عورات الحاكم مما يؤدي إلى إشعال حرب شديدة بين السياسيين، فينعدم من جراء ذلك أداء الواجبات والاهتمام بالأخذ والرد الذي لا يفيد أبناء الدولة.

فلذلك ينبغي على رؤساء المسلمين أن يعتبروا بحال الأمة، ويُقَوُّوا إيمانهم وينظروا في دينهم، علَّهم أن يشعروا ما نحن فيه من الهموم والهوان ويأخذوا بمعالم الإسلام وهدى المصطفى صلى الله عليه وسلم وينشدوا مجد الأمة.

المبحث الثالث: نماذج إيمانية من تاريخ المسلمين.

وفيه تمهيد خمسة مطالب:

تمهيد:

لقد وجدنا في المبحثين الماضيين أن آثار التربية الإيمانية يتمتع بها الفرد في سره وعلا نيته، وتحيط بالمجتمع في جميع جوانبه.

وتبدو تلك الآثار لمن لم يطلع على سيرة السابقين كأنها ضرب من الخيال أو نوع من الترويح، أو جنس من الآمال، نعم هكذا يظن من كان علمه قاصرا على حياة المعاصرين ولم يقف على تاريخ السلف.

ولكن المسلمين – على كل حال – مغتبطون بماضي أسلافهم المشرق، الذين عاشوا حياة تفوق التصور، وتركوا لأحفادهم خير مثال، وخلفوا لمن يأتي بعدهم أغلى تراث، فكانوا لنا قدوة حسنة وعبرة بالغة.

وفي هذا المبحث يسعى الباحث إلى إيراد شئ يسير من سيرتهم الخالدة، ليتجلى عجائب الإيمان في صنع الرجال.

فجاء المبحث في خمسة مطالب:

المطلب الأول: في الإخلاص والثبات.

أولاً: إبراهيم النخعي²⁵⁵ يغطي المصحف:

قال ابن الجوزي²⁵⁶ في المدهش: « كان إبراهيم النخعي إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاه».²⁵⁷

ثانياً: جهاد عبد الله بن المبارك²⁵⁸:

وقال أيضاً في صفة صفوة: «قال عبد الله بن سليمان: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده فطعنه فقتله فازدحم عليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمر ممن يشنع علينا».²⁵⁹

ثالثاً: محنة الإمام أحمد²⁶⁰:

²⁵⁵ إبراهيم ابن يزيد ابن قيس ابن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيراً من الخامسة مات سنة ست وتسعين وهو ابن خمسين أو نحوها.

تقريب التهذيب، ج 1 ص 85.

²⁵⁶ ابن الجوزي (508 - 597 هـ = 1114 - 1201 م) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ

والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشركة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف. الأعلام، ج 3 ص 316.

²⁵⁷ المدهش، لأبي الفرج ابن الجوزي، ص 47، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1401هـ 1981م.

²⁵⁸ عبدالله ابن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير من الثامنة مات سنة إحدى وثمانين وله ثلاث وستون.

تقريب التهذيب، ج 2 ص 320.

²⁵⁹ صفوة الصفوة، له أيضاً، ج 2 ص 86، الصفا، القاهرة، ط 1، 1424هـ - 2003م.

²⁶⁰ أحمد بن حنبل هو: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي ثم البغدادي، أخذ الأئمة الأعلام، وكان إمام

المحدثين، صنف كتابه المسند، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، ولد سنة أربع وستين ومائة، وكان شيخاً محضوباً، طوّلاً، أَسَمَر، شَدِيد السُّمَرَةِ، توفي سنة توفى ضحوة نهار الجمعة، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد، ودفن بمقبرة باب حرب. انظر: سير أعلام النبلاء، ج 21 ص 212. ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ج 1 ص 63.

قال الشيخ حامد أحمد: " حمل هو محمد بن نوح، وكان ابن نوح شاباً، وليس عالماً، لكن صبر مع الإمام أحمد فحمل إلى المأمون، فيشاء الله أن محمد بن نوح يمرض ويوصي الإمام فيقوله: أنت إمام وأما أنا فأموت ولا أحد يأبه لي، فاصبر.

وبموت محمد في الطريق ويؤخذ الإمام أحمد مقيداً، ودخل عليه بعض الناس قبل الدخول على الخليفة يذكرون بأنه هناك أحاديث في التقية والمرء عند الشدة يمكن أن يوري حتى تمضي العاصفة، قال: كيف تصنعون بحديث خباب؟ إنه من كان قبلكم ينشر أحدهم بالمنشار ثم لا يصدده ذلك عن دينه، فيئسوا منه وتركوه.

وقال الإمام أحمد: اللهم لا تريني وجه المأمون، فمات المأمون قبل أن يصل أحمد، ووصل الخليفة الذي بعده والمحنة ما زالت مستمرة، فيقول له: يا أحمد إنها والله نفسك إنه لا يقتلك بالسيف ولكن يضربك ضرباً بعد ضرب حتى تموت قال: ناظر ابن أبي دؤاد، فأسكته الإمام أحمد وقطع حجته، يقول لهم الإمام: هاتوا شيئاً من القرآن أقول به، هاتوا شيئاً من السنة أقول به، فلا يأتون بدليل يقول الخليفة لأحمد: تعرف صالح الرشيدي؟ قال: سمعت به. قال الخليفة: كان مؤدبي، فسألته عن القرآن فخالفني، ولما خالفني وأصرّ على أن القرآن غير مخلوق أمرت به فوطئ وسحب حتى مات.

قال: هاتوا العقابين والسياط، قال: اتنوني بغيرها. ثم قال الخليفة للجلادين تقدموا واضربوه، وربطوا الإمام أحمد، وكل فرد منهم يضرب سوطين بأقوى ما عنده، ويقول الخليفة للجلادين: شدّ يدك قطع الله يدك. ويتعاقب عليه الجلادون، لينال الإمام —رحمه الله— أعظم عذاب. ثم يقول الخليفة: علام تقتل نفسك؟ إني عليك لشفيق، وجعل ذلك على رأسه الحارس ينخسه بالسيف، وذلك يقول ويحك يا أحمد ما أجبتني أجبني إلى أي شيء يكون لك فيه فرج حتى أطلقك فيقول الإمام: يا أمير المؤمنين، أعطني شيئاً من كتاب الله ومن سنة رسول الله صل الله عليه وسلم، ثم يأتي الجلاد ويضرب وهكذا تستمر عملية الضرب.

يقول الإمام أحمد: حتى ذهب عقلي فأفقت والأقياد في يدي فقال لي رجل: كببناك على وجهك وجعلنا فوقك حصيراً ووطننا عليك! فقال: ما شعرت بذلك.

فلما أتوه بسويق ليأكل قال: لا أفطر، وكان صائماً، ثم جاءوا به والدم يسيل في ثوبه فصلى فقال أحدهم: صليت والدم يسيل في ثوبك؟! قال أحمد: صلى عمر وجرحه يثغب دماً، ثم مكث في السجن، ثم خلي عنه بعد ثمانية وعشرين شهراً ثم جعل في الإقامة الجبرية (الحصر) في بيته " 261.

المطلب الثاني: في طلب العلم.

²⁶¹ انظر: كتاب هؤلاء يحبهم الله، لحامد أحمد الطاهر، ص 109 - 111، دار الفجر، ط 1، 1429 هـ - 2008 م، وانظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، ج 9 ص 193، 2100، دار الكتب العلمية، بيروت لا ط.

أولاً: يقول أبو الدرداء²⁶² - رضي الله عنه - « لو أنسيت آية لم أجدأ أحدا يذكرنيها إلا رجلاً ببرك الغماد²⁶³ رحلت إليه²⁶⁴ ».

ثانياً: عبد الله بن عباس والشاب الأنصاري :

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار هلم نسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم اليوم كثير، فقال واعجبا لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح عليّ التراث، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله، ألا أرسلت إليّ فأتيك؟ فأقول: أنا أحق أن أتيك فأسألك. قال: فبقي الرجل حتى رأيته وقد اجتمع الناس عليّ فقال: هذا الفتى أعقل مني²⁶⁵ ».

ثالثاً: سعة علم الحافظ الذهبي²⁶⁶:

قال تقي الدين السبكي²⁶⁷ عن أستاذه الذهبي: " وأما أستاذنا أبو عبد الله فبصر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إن نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضر، وكان محطّ رجال تغيبت، ومنتهى رغبات من تغيبت تعمل المطي إلى جواره، وتضرب الجزل المهاري أكبادها فلا تبرح أوتنبل²⁶⁸ نحو داره، وهو الذي خرّجه في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة، جزاه الله عنا أفضل الجزاء، وجعل حظه من غرفات الجنان موفر الأجزاء... »

بدأ الإمام الذهبي - رحمه الله - يعتني بطلب العلم حينما بلغ الثامنة عشرة من عمره وتوجهت عنايته إلى القراءة والحديث.

²⁶² عويمر ابن زيد ابن قيس الأنصاري أبو الدرداء مختلف في اسم أبيه وأما هو فمشهور بكنيته وقيل اسمه عامر وعويمر لقب صحابي جليل أول مشاهده أحد وكان عابدا مات في أواخر خلافة عثمان وقيل عاش بعد ذلك. تقريب التهذيب، ج 2 ص 434.

²⁶³ وبرك الغماد موضع بناحية اليمن. انظر: النهاية في غريب الحديث، باب الباء مع الراء، ج 1 ص 306.

²⁶⁴ تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ج 4 ص 119، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1417 هـ - 1997 م.

²⁶⁵ سير الأعلام النبلاء، للذهبي ج 3 ص 342 - 342، مؤسسة الرسالة ط 11، 1419 هـ - 1998 م.

²⁶⁶ الذهبي (673 - 748 هـ = 1274 - 1348 م) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركماني الأصل، من أهل ميفارقين، مولده ووفاته في دمشق. رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة 741 هـ تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة. الأعلام ج 5 ص 326.

²⁶⁷ تقي الدين السبكي (683 - 756 هـ = 1284 - 1355 م) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الانصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. الأعلام، ج 4 ص 302.

²⁶⁸ نبل الإبل: أي ساقها. انظر: النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، باب النون مع الباء، ج 5 ص 23، المكتبة العلمية، بيروت، 1399 هـ - 1979 م، ت طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

وتميز في دراسة القراءات وبرع فيها براعة جعلت شيخه شمس الدين محمد بن عبد العزيز الدمياطي يتناول له عن حلقته بالجامع الأموي في أواخر سنة 692هـ حينما أصابه المرض الذي توفي فيه.

وفي الوقت نفسه كان الذهبي وهو في الثامنة عشرة من عمره قد مال إلى سماع الحديث، وأعتنى به عناية فائقة، وطغى هذا العلم على كل تفكيره، وكان رحمه الله يتحسر على الرحلة إلى البلدان الأخرى، لما في ذلك من أهمية بالغة في تحصيل علو الإسناد وقدم السماع إلا أن والده لم يشجعه على الرحلة بل منعه في بعض الأحيان...

وتولّى الإمام مشيخة دار الحديث سنة 718هـ بتربة أم الصالحات بدمشق، وتولى دار الحديث بالظاهرية 729هـ.

وفي سنة 739 تولى تدريس الحديث بالمدرسة النفيسية، دار الحديث والقرآن التنكزية...

وأما آثاره التي تريك عجائبه وأخباره وأنواره وأزهاره، ففوق الحصر: فقد ألف في:

- أ - القراءات. ب - والحديث. ج - ومصطلح الحديث. د - والعقائد. هـ - وأصول الفقه. و - الفقه. ز - والرقائق. ح - والتاريخ والتراجم. ط - والسير والتراجم المفردة. ي - وكتب متنوعة. ك - والتخاريج. ل - المشيخات. م - الأربعينات. ن - ومعجمات الشيوخ. والأجزاء. والمختصرات...²⁶⁹

المطلب الثالث: في العبادات.

كانت أخبار السلف في عبادة الله والخضوع له والتضرع إليه ممتعة شيقة تنشرح لها النفس، وتطرب بها القلب، وتبعث الهمة، وتوقظ الرغبة، وهذه نبذة منها:

أولاً: في الصلاة:

- 1 - روى الإمام الطبراني عن عنبسة بن الأزهر²⁷⁰ قال: « تزوج الحارث بن حسان²⁷¹ وكان له صحبة، فقيل له: أخرج وإنما بنيت أهلك في هذه الليلة؟ فقال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء». ²⁷²

²⁶⁹ طبقات الشافعية، ج 9 ص 100 - 101 مطبعة عيسى البابي ط 1، 1383هـ - 1964م، مختصر من كتاب "الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام" لبشار عواد معروف نقلا من كتاب "صلاح الأمة في علو الهمة"، د. سيد بن حسين الغفاني، ص 520 - 535، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1418هـ - 1997م.

²⁷⁰ عنبسة ابن الأزهر الشيباني أبو يحيى الكوفي قاضي جرجان صدوق ربما أخطأ من العاشرة. تقريب التهذيب، ج 2 ص 433.

²⁷¹ الحارث ابن حسان البكري ويقال اسمه حريث [ويقال: الحارث بن يزيد] صحابي له وفادة ونزل البادية وكان يقدم الكوفة. تقريب التهذيب، ج 1 ص 145.

²⁷² قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن، باب في صلاة العشاء الآخرة والصبح في جماعة، ج 2158، ج 2 ص 167. دار الفكر، بيروت - 1412 هـ.

2 - وقال الحافظ ابن كثير عن ليل عمر: « كان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فيصلي إلى الفجر»، وقال عمر لمعاوية بن خديج: « لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية ولئن نمت بالليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟! »²⁷³.

ثانياً: في الصوم:

في صفة الصفوة أن « داود بن أبي هند²⁷⁴ صام أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان جزارا يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدق به في الطريق ويرجع عشيّاً فيفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق»²⁷⁵.

ثالثاً: في النفقة والجود.

1 - قال عمر بن الخطاب: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق فوافق ذلك ما لا عندي، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبقيت لأهلك؟ فقلت مثله، قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أبقيت لأهلك؟ » قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت لا أسابقك إلى شيء أبد»²⁷⁶.

2 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خيركم خيركم لأهلي من بعدي» قال فباع عبد الرحمن بن عوف²⁷⁷ حديقه بأربعمائة ألف فقسّمها في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم «²⁷⁸.

رابعاً: في الحج:

1 - عن هشام بن حسان²⁷⁹: " أن أيوب السخيتاني²⁸⁰ حج أربعين حجة " .²⁸¹

²⁷³ الزهد، للإمام أحمد، ص 152، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1403 هـ - 1983 م.

²⁷⁴ داؤد بن أبي هندٍ دُبَّارٍ بنِ عُدَّافٍ الحُرَّاسِيُّ (خت، م، 4) واسمُ أبي هِنْدٍ: دُبَّارُ بنِ عُدَّافٍ، الإمام، الحافظ، الثَّقَّة، أَبُو مُحَمَّدٍ الحُرَّاسِيُّ، ثُمَّ البَصْرِيُّ، قَالَ النَّسَائِيُّ، وَبَحَّى بنُ مَعِينٍ، وَغَيْرُهُمَا: ثِقَّةٌ. سير الأعلام النبلاء، ج 11 ص 467.

²⁷⁵ ج 2 ص 148.

²⁷⁶ حسن، أخرجه الترمذي في المناقب، باب في مناقب أبي بكر و عمر رضي الله عنهما كليهما، والدارمي في المناقب 16 باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده.

²⁷⁷ عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري يكنى أبا محمد . كان اسمه في الجاهلية : عبد عمرو وقيل : عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه و سلم عبد ، كان أحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم وأخير أن رسول الله

صلى الله عليه و سلم توفي وهو عنهم راض، توفي سنة إحدى وثلاثين بالمدينة. انظر: أسد الغابة، ج 1 ص 708. المكتبة الشاملة.

²⁷⁸ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة 602 ح 1414 المكتب الإسلامي بيروت 1413 هـ 1993 م ط 2.

²⁷⁹ هشام ابن حسان الأزدي القردوسي بالقاف وضم الدال أبو عبد الله البصري ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال لأنه قيل كان يرسل عنهما من السادسة مات سنة سبع أو ثمان وأربعين. تقريب التهذيب، ج 2 ص 572.

²⁸⁰ أيوب ابن أبي تيممة كيسان السخيتاني أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العباد، من الخامسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون. تقريب التهذيب، ج 1 ص 117.

²⁸¹ سير أعلام النبلاء، ج 6 ص 21.

2 - وكان هارون الرشيد²⁸² يغزو عاما ويحجّ عاما، وكان إذا حجّ أحج معه مائة من الفقهاء وأبناءهم، وإذا لم يحجّ أحج ثلاثمائة بالنفقة السابعة والكسوة التامة.²⁸³

خامسا: في التلاوة:

- 1 - عن أنس بن مالك قال: لما نزلت { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب } قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيّ بن كعب²⁸⁴: « إن الله أمرني أن أقرأ عليك » قال: وذكرني؟ قال نعم. فبكي أبيّ.²⁸⁵
- 2 - قال أبو عبد الله بن بشير القطان²⁸⁶ " ما رأيت أحسن إنتزاعا لما أراد من أي القرآن من أبي سهل بن زياد²⁸⁷. وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل والتلاوة فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه " ²⁸⁸.

المطلب الرابع: في التوكل على الله والثقة به.

- (1) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما مع أصحابه في واد فعلق سيفه في شجرة فتفرق الناس في الوادي يستظلون في الشجر فلم يرعهم إلا والنبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم فأتوه، فإذا بشخص وسيف ساقط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا²⁸⁹ فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، قال، فشام²⁹⁰ السيف²⁹¹ ».
- (2) روى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم: « إن امرأة خرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزا لها وصيصيتها²⁹² كانت تنسج بها، ففقدت عنزا من غنمها وصيصيتها، فقالت: يا ربّ إنك قد ضمننت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه ، وإنني قد فقدت عنزا من غنمي وصيصيتي، وإنني أنشدك عنزي وصيصيتي ».
- فجعل رسول الله يذكر شدة مناشدتها لربها - تبارك وتعالى- وشدة توكلها على الله وخرجت في سبيل الله، ومعتمدة أنّ الله يحفظ مالها، ولما عادت ما قالت: إن الله أخلف وعده، ولكن نشدت

²⁸² هارون الرشيد بن المهدي بن جعفر المنصور وُلِدَ في مدينة الري، سنة ثمان وأربعين ومائة. تولى خلافة المسلمين سنة 170هـ، وسنه خمسة وعشرين عامًا. وأصبحت بغداد في عصره من أعظم مدن الدنيا، كان يضرب به المثل في التواضع مات في ثالث جمادى الآخر سنة ثلاث

²⁸³ البداية والنهاية، لابن كثير

²⁸⁴ أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن ربيعة البصري الحرجي، كان يبيع السراويل والحية لا يغير شبيهه، مات سنة تسع عشرة.

أسد الغابة، ج 1 ص 30.

²⁸⁵ رواه البخاري، كتاب التفسير، ح ، و4960. و مسلم كتاب فضائل الصحابة ح 799.

²⁸⁶ بحث اسمه في كتب التاريخ وتراجم الرجال فما وجد وجدت.

²⁸⁷ كثير بن زياد أبو سهل الأزدي العتكي البصري، نزيل بلخ، وثقه أبو حاتم. انظر: تاريخ الإسلام، ج 8 ص 207.

²⁸⁸ السير ج 15 ص 521 ، و تاريخ بغداد ج 5 ص 45 - 46.

²⁸⁹ صلتا أي مسلولا. انظر: الصحاح في اللغة، للجوهري ج 1 ص 278.

²⁹⁰ شامه: أغمده. انظر تهذيب اللغة، للأزهري، باب شام، ج 4 ص 128.

²⁹¹ رواه البخاري في المغازي (4137). مسلم في الفضائل (483).

²⁹² الصيصة: الشيخ الذي ينسخون به الغزل. انظر: تهذيب اللغة، باب وصى، ج 4 ص 222.

ربها ما وعد به وأخذت تلح وتلح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فأصبحت عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها رجع مضاعفا، لما نامت على الدعاء والتوكل وفي الصباح وجدته مضاعفا من عند الله²⁹³ .

(1) عن الشعبي²⁹⁴ أن أبا ادعى على عمر دعوى، فلم يعرفها، فجعل بينهما زيد بن ثابت²⁹⁵ فأتيه في منزله فلما دخلا عليه قال عمر: جئناك لتقضي بيننا، وفي بيته يؤتى الحكم، قال: ففتح لي زيد عن صدر فراشه فقال: ها هنا يا أمير المؤمنين، فقال: جرت يا زيد في أول قضائك، ولكن أجلسني مع خصمي فجلس بين يديه، فادعى أبي وأكر عمر، فقال: زيد أعف أمير المؤمنين من اليمين، وما كنت لأسألك لأحد غيره، قال: فحلف عمر ثم حلف عمر لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواه²⁹⁶ .

(1) بلغ عن هشام²⁹⁷ عن رجل كلاما غليظا، فأحضره فلما وقف بين يديه، جعل يتكلم. فقال هشام: وتتكلم أيضا؟ فقال: يقول الله عز وجل: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادُلُ عَنْ نَفْسِهَا} النحل 111. أفنجد الله جدالا، ولا نكلمك كلاما؟ فقال هشام: ويحك تكلم بحاجتك²⁹⁸ .

²⁹³ رواه أحمد في مسنده (20141)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (6/ 1047) نقلا من أعمال القلوب، محمد صالح المنجد ص 230 دار الفجر للتراث - القاهرة - ط 1، 1426 هـ - 2005 م.

²⁹⁴ عامر ابن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل، من الثالثة، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه. مات بعد المائة وله نحو من ثمانين. تقريب التهذيب، ج 2 ص 287.

²⁹⁵ زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو الأنصاري الخزرجي ثم النجاري أبو سعيد، استصغره رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم بدر فردّه وشهد أحدا، وكان أعلم الصحابة، توفي سنة خمس وأربعين. أسد الغابة، ج 1 ص 395.

²⁹⁶ أخبار القضاة، لو كيع بن حبان، ص 76، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى 1422 هـ - 2001 م.

²⁹⁷ هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي الخليفة، استخلف في شعبان سنة 105، وأمه فاطمة بنت الأمير هشام بن إسماعيل بن هشام أخي خالد ابني الوليد بن المخزومي، وكانت خلافته عشرين سنة وكانت داره عند الخواصين بدمشق فعمل منها السلطان نور الدين مدرسة، وكان ذا رأي وحزم وحلم وجمع للمال عاش أربعاً وخمسين سنة وكان أبيض سميماً سديداً حسن الكلام شكس الأخلاق شديد الجمع للمال قليل البذل وكان حازماً متيقظاً لا يغيب عنه شيء من أمر ملكه. انظر: موسوعة الأعلام، ج 1 ص 95، موقع وزارة الأوقاف المصرية.

²⁹⁸ <http://www.islamic-council.com>. وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد العسكري الدمشقي، ت: 1089، ج 1 ص 157، دار الكتب العلمية.

²⁹⁸ مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام 284، نقلا من أهمية الإيمان، لمحمد رفعت أحمد بخير، ص 205، دار الثقافة، مكة المكرمة لا ط 1409 هـ.

الفصل الثالث: ظاهرة الانحراف عن التربية الإيمانية.

وفيه تمهيد ثلاثة محاور:

المبحث الأول: مظاهر الانحراف عن التربية الإيمانية بين المسلمين.

المبحث الثاني: أسباب الانحراف عن التربية الإيمانية.

المبحث الثالث: حلول مقترحة لمعالجة الانحراف عن التربية الإيمانية.

تمهيد :

إن تلك الآثار التي تثمرها التربية الإيمانية على مستوى الفرد والمجتمع لمن الغايات النبيلة التي يريد الله خالق السماوات والأرض أن تتحقق على وجه المعمورة، ولذلك هيأ لها جميع السبل المؤدية إليها وأعد لها المقومات المعينة مادية ومعنوية، ويسر لبني آدم العمل لأجلها، وجعلها قائمة على أساس العبودية الخالصة له قال الله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} الأعراف10.

فكان يسيرا على سگان الأرض أن يستقوا من منهج الله ليعيشوا عيشة هنيئة ويموتوا ميتة سوية، ولكن سنة الله في الكون دائما {فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ} البقرة 253.

ومن تتبّع تاريخ الإنسان تبين له أن من أشدّ أنواع الابتلاء الذي ابتليت به الإنسانية بلاء الانحراف عن دين الله سبحانه وتعالى، وارتضاءها بالأهواء البشرية والأفكار الأرضية بديلا عن دين ربّ العالمين، هذا البلاء الذي لم يكن على وجه الأرض بلاء أشدّ منه نبع منه الكفر والشقاء،

وظهرت كل المآسي التي اكتنفت مسيرة البشرية، لقد كان في إمكان الإنسان أن يتغلب على كثير من صنوف وأنواع الصعاب التي ظهرت في طريقه ومنعت تقدمه وارتقاءه في سلم التطور المادي كما تغلب على الأمراض باختراع الأدوية على الفقر بزيادة الإنتاج وإتقان فنون الصناعة. ولكن الإنسان أبى إلا أن يتبع هواء وينحرف عن دين الحق، وقد عقدت هذا الفصل لأتناول فيه ظاهرة الانحراف عن التربية الإيمانية فجاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر الانحراف عن التربية الإيمانية بين المسلمين.

وفيه تمهيد وخمسة مطالب:

تمهيد :

إن مما أثبتته الحقائق وأكدته التجارب أن المؤمنين بالله واليوم الآخر، القائمين على حدود الشريعة الإسلامية، الداعين إلى صراط الله المستقيم هم الذين يسعون - حقيقة - وراء تحقيق غاية الوجود والتاريخ شاهد أمين، فمنذ أن سطع نور الهدى من مكة المكرمة راح يشرق للعالمين ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويمحو الضلال ويحذر من الشرك حتى ساد الحق وانتصر التوحيد وكان للناس فيه الخير الكثير، ثم لما انحرف أغلب الناس عن الإيمان وانصرفوا إلى الكفر والطغيان أصبحت الحياة مليئة بالفجوات الدينية والأزمات الدنيوية فردية وجماعية، تتجلى في كافة الميادين وعامة المجالات، يمكن ذكرها في خمسة مطلب:

المطلب الأول: الانحراف في العقيدة.

فساد العقيدة فساد للدين، وفساد الدين هو خسارة الدنيا والآخرة، فالعقيدة أولى أن يحتاط عليها الانحراف وأجدر أن تصحح وتراقب من أي شيء آخر في الحياة. فما دامت عقيدة المرء صحيحة فإنه إن حصل منه التقصير في جوانب أخرى يرجى له المغفرة إن مات على الإيمان.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد فاحتضر قال لأهله: انظروا إذا أنا مت أن يحرقوه حتى يدعوه حمماً، ثم اطحنوه، ثم أذروه في يوم ريح، فلما مات فعلوا ذلك به، فإذا هو في قبضة الله، فقال الله - عز وجل - يا ابن آدم ما حملك على ما فعلت؟ قال: أي رب من مخافتك، قال: فغفر له بها، ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد».²⁹⁹ وروى البخاري عن إسحاق بن إبراهيم³⁰⁰ قال: حدثنا معاذ بن هشام³⁰¹ قال: حدثني أبي، عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: ((يا معاذ بن جبل)). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: ((يا معاذ)). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً، قال: ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)). قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: ((إذا يتكلموا)). وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً.³⁰²

ولا يعني ذلك أن التصديق القلبي كاف في مسمى الإيمان بل لابد من العمل.³⁰³

²⁹⁹ رواه أحمد، واللفظ له، وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: وهذا إسناد صحيح متصل عن أبي هريرة، ح 3048.

³⁰⁰ إسحاق بن إبراهيم ابن مخلد الحنظلي أبو محمد ابن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد ابن حنبل، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته ببسبر مات سنة ثمان وثلاثين وله اثنتان وسبعون. تقريب التهذيب، ج 1، 99.

³⁰¹ معاذ بن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي البصري وقد سكن اليمن صدوق ربما وهم من التاسعة مات سنة مائتين. تقريب التهذيب، ج 2 ص 536.

³⁰² رواه البخاري، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا. ومسلم، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

³⁰³ قال الألباني في السلسلة: هذا وقد اختلفوا في تأويل حديث الباب وما في معناه من تحريم النار على من قال لا إله إلا الله على أقوال كثيرة ذكر بعضها المنذري في "الترغيب" (2 / 238) وترى سائرهما في "الفتح". والذي تطمئن إليه النفس وينشرح له الصدر به تجتمع الأدلة ولا تتعارض، أن تحمل على أحوال ثلاثة:

الأولى: من قام بلوازم الشهادتين من التزام الفرائض والابتعاد عن الحرمات، فالحديث حينئذ على ظاهره، فهو يدخل الجنة وتحرم عليه النار مطلقاً.

الثانية: أن يموت عليها، وقد قام بالأركان الخمسة ولكنه ربما تهاون ببعض الواجبات وارتكب بعض الحرمات، فهذا ممن يدخل في مشيئة الله ويغفر

لكما في الحديث الآتي بعد هذا وغيره من الأحاديث المكفرات المعروفة.

والانحراف العقدي الواقع في الأمة اليوم ظاهر ومنتشر، يمكن حصره تحت قسمين اثنين:

(1) ما يخرج من الملة. (2) ما لا يخرج من الملة.

القسم الأول: الانحراف المخرج من الملة: وهو الذي يخرج المسلم من دين الإسلام، ويخلده في النار، ويجعله حلال الدم والمال - نعوذ بالله منه -

وسببه واحد من ثلاثة أمور مرتبطة بعضها بالأخرى، أجمل الكلام فيها، وهي:

1- الكفر. 2- الشرك. 3- النفاق.

أولاً: الكفر: وهو ستر نعمة المنعم بالجود أو بعمل هو كالجود في مخالفة المنعم³⁰⁴.
وقيل: هو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مما علم من دينه بالضرورة³⁰⁵.

و قد جعل العلماء الكفر المخرج من الملة خمسة أقسام هي:

أ- كفر التكذيب والدليل قول الله تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ } سورة العنكبوت 68.

ب- كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } البقرة 34.

ج- كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ

الثالثة: كالذي قبله و لكنه لم يقم بحققها و لم تحجزه عن محارم الله كما في حديث أبي ذر المتفق عليه: " وإن زنى و إن سرق . . . " الحديث، ثم هو إلى ذلك لم يعمل من الأعمال ما يستحق به مغفرة الله، فهذا إما تحرم عليه النار التي وجبت على الكفار، فهو و إن دخلها، فلا يخلد معهم فيها بل يخرج منها بالشفاعة أو غيرها ثم يدخل الجنة و لابد، و هذا صريح في قوله صلى الله عليه وسلم: " من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره، يصيبه قبل ذلك ما أصابه ". و هو حديث صحيح كما سيأتي في تحقيقه إن شاء الله برقم (1932) . و الله سبحانه و تعالى أعلم . ح 3014).

³⁰⁴ التعريفات للجرجاني، باب الكاف ج 1 ص 37. دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1، 1405، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

³⁰⁵ موسوعة نضرة النعيم، ج 11 ص 5443.

لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا { سورة الكهف 35-37.

د- كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ } سورة الأحقاف آية 3.

ه- كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } سورة المنافقون آية 3. 306

ثانياً: الشرك: قال المناوي³⁰⁷: " الشرك إما أكبر، وهو إثبات الشريك لله تعالى. أو أصغر وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور " 308.

وقال ابن القيم - رحمه الله - : " فالشرك الأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًا، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم: { تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } الشعراء 97-98. مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله " 309.

وهذا الشرك هو الذي قال الله تعالى فيه: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } سورة النساء 116.

والشرك الأكبر أربعة أنواع:

أ - شرك الدعاء، والدليل قول الله تعالى: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ } العنكبوت 65.

³⁰⁷ المناوي (000 - بعد 1060 هـ = 000 - بعد 1650 م) عبد الله بن أحمد المناوي الشافعي موقت مصري. له كتب، منها " الدرة اليتيمة " و " الاقمار السنية على نظم الكواكب البهية ". الأعلام، ج 4 ص 69.

³⁰⁸ التوفيق 303. نقلا من موسوعة نضرة النعيم.

³⁰⁹ مدارج السالكين ج 1 ص 279.

ب -شرك النية والإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِرُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} هود 15- 16.

ت -شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } التوبة 31.

ث -شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } البقرة 165.

وتم تقسيمات أخرى للعلماء، موضوعة في كتب العقيدة.

ثالثاً: النفاق: قال الجرجاني³¹⁰: النفاق: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب .³¹¹

وذكر الحافظ ابن رجب أن النفاق ينقسم شرعا إلى قسمين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك أو بعضه.

قال: وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن بزمّ أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.³¹²

قلت: وهذا القسم هو الذي سمّاه العلماء(النفاق الاعتقادي).

وله علامات كثيرة، منها:

أ - تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو تكذيب بعض ما جاء به.

ب -بغض الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بغض ما جاء به.

³¹⁰ الجرجاني (740 - 816 هـ = 1340 - 1413 م) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شیراز توفي فيه و له نحو خمسين. انظر: الأعلام، ج 5 ص 7.

³¹¹ التعريفات 245.

³¹² جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص 438- 439 في شرح الحديث 48 دار الفكر - بيروت - ط الأولى 1424 هـ - 2003 م. ثم قال الحافظ ابن رجب: "والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل؛ وهو أن يظهر الإسلام علانية ويبطن ما يخالف ذلك " وهذا التعريف للنفاق الأصغر فيه نظر إذ لم يظر فيه تفريق بينه وبين النفاق الأكبر.

ت - المسرة بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الكراهة بانتصار دينه.

ث - الاستهزاء بالله ورسوله وآياته، قال الله تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }
التوبة 65- 66.

ج - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، قال تعالى: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } التوبة 67.

ح - موالاة الكفار من المشركين ومن أهل الكتاب، قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } الحشر 11.

خ - التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل ما عبد من دون الله هو راض، قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } النساء 20.

د - عدم الرضا بالتحاكم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } النساء 61.

وهي كثيرة جدًا غير ما ذكرت هنا يمكن أن يرجع لها إلى كتب العقيدة مثل: (صفة النفاق) لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي³¹³.

والثاني: هو النفاق الأصغر أو النفاق العملي، وهو التخلق ببعض أخلاق المنافقين الظاهرة كالكذب، والتكاسل عن الصلاة. مع الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، كما ورد في قوله صلى الله

³¹³ هو جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْمُسْتَفَاضِ الْإِمَامِ، الْحَافِظُ، الثَّبَتُ، أَبُو بَكْرٍ الْفَرِيَابِيُّ، الْقَاضِي، وَلِدَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ، طَوَّفَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَلَقِيَ الْأَعْلَامَ. قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: مَاتَ الْفَرِيَابِيُّ فِي الْمَحْرَمِ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِ مِائَةٍ. انظر: سير اعلام النبلاء، ج 27 ص 100.

عليه وسلم: عن عبد الله بن عمرو³¹⁴ - رضي الله عنهما - قال: ((أربع من كن فيه كان منافقا، أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)).³¹⁵ وقوله صلى الله عليه وسلم: ((أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا)).³¹⁶

وإذا نظرنا إلى واقع أمتنا نجد أن كثيرا من المسلمين قد تلبس بانحرافات عقدية كثيرة لشدة الجهل الذي يغمر العقول ويغطي القلوب ويعمي الأبصار، ومن أبرزها:

1 - لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من علق تميمة فقد أشرك»³¹⁷.

2 - الرقى الشركية، فعن ابن مسعود³¹⁸ - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرقى والتائم والتولة شرك»³¹⁹.

3 - التولة، ويزعم أنها تحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجته.

³¹⁴ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلا عالما قرأ القرآن والكتب المتقدمة، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يكتب عنه فأذن له. قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب. وتوفي عبد الله سنة ثلاث وستين وقيل: سنة خمس وستين بمصر. انظر: أسد الغابة، ج 1 ص 657.

³¹⁵ رواه البخاري، باب إذا خاصم فجر.

³¹⁶ رواه البخاري، باب فضل العشاء في الجماعة.

³¹⁷ رواه أحمد، من مسند عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، ح 17558، وغيره، وهو في الصحيحة برقم (496). قال الألباني: قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير دخين وهو ابن عامر الحجري، أبو ليلى المصري وثقه يعقوب بن سفيان وابن حبان وصح له الحاكم. ثم قال: (فائدة) التيممة: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام كما في "النهاية" لابن الأثير. قلت: ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها على المرأة! وبعضهم يعلق نعلًا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها! وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان! كل ذلك لدفع العين زعموا، وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد، وما ينافيه من الشراكيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها، فإلى الله المشتكى من جهل المسلمين اليوم، وبعدهم عن الدين. ولم يقف الأمر ببعضهم عند مجرد المخالفة، بل تعداه إلى التقرب بها إلى الله تعالى! فهذا الشيخ الجزولي صاحب "دلائل الخيرات" يقول في الحزب السابع في يوم الأحد (ص 111 طبع بولاق): "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ما سجت الحمايم، وحت الحوائم وسرحت البهائم، ونفعت التائم"! وتأويل الشارح لـ "الدلائل" بأن "التائم جمع تيممة وهي الورقة التي يكتب فيها شيء من الأسماء أو الآيات وتعلق على الرأس مثلا للتبرك". فما لا يصح لأن التائم عند الإطلاق إنما هي الخرزات كما سبق عن ابن الأثير، على أنه لو سلم بهذا التأويل فلا دليل في الشرع على أن التيممة بهذا المعنى تنفع، ولذلك جاء عن بعض السلف كراهة ذلك كما بينته في تعليقي على "الكلم الطيب" (ص 44 - 45 طبع المكتب الإسلامي).

³¹⁸ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم أبو عبد الرحمن الهذلي حليف بني زهرة، كان إسلامه قديما أول الإسلام حين أسلم بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. انظر: أسد الغابة، ج 1 ص 671.

³¹⁹ رواه أبو داود باب في تعليق التائم. وأحمد من مسند عبد الله بن مسعود ح 3615. وصححه الألباني، في السلسلة الصحيحة.

- 4 -التبرّك بشجرة أو حجر، أو نحوهما، قال الله تعالى: { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38.
 - 5 -الذبح لغير الله تعالى، قال الله عزوجل: { قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 162.
 - 6 -الاستعاذة أو الاستغاثة أو دعاء غير الله، قال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِهِمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } الأحقاف 5.
 - 7 -السحر، قال الله تعالى: { وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } البقرة 102.
 - 8 -التشاؤم والطيرة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» وزاد مسلم: «ولا نوء ولا غول»³²⁰.
 - 9 -الغلوّ في الصالحين، كاعتقاد عصمتهم، أو اشتراكهم مع الله تعالى في الربوبية، والاستغاثة بهم ، والتوكل عليهم، قال الله تعالى: { وَاعْلَمِ اللَّهُ أَنَّكَ كُنْتَ تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } المائدة 23.
 - 10 للحلف بغير الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله»³²¹.
- هذه وغيرها انحرافات عقديّة فشت في أمّة محمد صلى الله عليه وسلم لما تخلّت عن كتاب لها وابتعدت عن الهدى نبيها صلى الله عليه وسلم، نسأل العليّ القدير أن يرد جميع المنحرفين إلى دينه مردا جميلا.

تنبيه مهم: عدم تكفير المؤمنين بالذنوب والمعاصي:

هذه مسألة تشتد الحاجة إلى تبيانها في أيامنا هذه، لأن كثيرين قد غلطوا فيها، وتجرؤوا على الحكم على المؤمنين بالكفر بارتكابهم بعض الذنوب والمعاصي، وقد استند هؤلاء إلى نصوص وآثار من الكتاب الحكيم والسنة المطهرة ولم يفهموها على وجهها الصحيح، ولم يفتنوا إلى دلالاتها الحقيقة، فصدرت منهم ألفاظ غير لائقة، وأصدروا أحكام غير صائبة، لأن مسألة التكفير من المسائل العويصة، والأحكام الشرعية التي مردّها إلى الكتاب والسنة، ولا يجوز تكفير المسلم

³²⁰ رواه البخاري في الطب ومسلم في السلام.

³²¹ راه مسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله

بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبة في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، كما بين العلماء ذلك، فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَدَبَّاهَا أَحَدُهُمَا»³²². ولذلك قد قام كثير من علماء المسلمين - سلفاً وخلفاً - من التحذير عن التكفير المجرد عن القوائد والأصول، منهم من ألقوا الخطب والمحاضرات في ذلك، ومنهم من ألقوا الكتب³²³، ومنهم من عقدوا دورات تربوية، ومنهم من قدموا دروساً علمية، كل ذلك حرصاً منهم على بقاء الأمة على المنهج النبوي المعتدل.

فينبغي الاعتناء بطلب العلم ونشره والعمل بما يصلح الدين والدنيا بدل الاشتغال بتنصيف الناس والحكم عليهم والطعن في الأبرياء وغيبتهم مما يؤدي إلى فُشُوِّ التجاهر والتباغض والتفرق - والله المستعان وعليه التكلان -.

القسم الثاني: الانحراف الذي لا يخرج من الملة.

وهي الانحرافات العقدية التي لا يخرج المرء بمجرد ما من الإسلام، ولا تخلده في النار، ولا تجعله حلال المال والدم، إلا أن العلماء يعدونها من كبائر الذنوب، كما ذهب إلى ذلك الإمامان الذهبي³²⁴ وابن حجر³²⁵ الهيثمي³²⁶.

ويتناول الأقسام الباقية من الكفر والشرك والنفاق.

³²² رواه البخاري في الأدب 73. ومسلم في الإيمان 111.

³²³ وتجدر - في مثل هذا الباب - الإشارة إلى بعض الكتب، مثل كتاب (موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع) للدكتور/ إبراهيم الرحيلي، وأصله رسالة دكتوراه تقدم بها إلى قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو الآن مطبوع من مكتبة (جامع العلوم والحكم)، ومما قاله في مقدمة الكتاب: "وأما في باب التكفير والتفسيق وغيرهما من الأحكام فإن السلف لا يكفرون أحداً من البدع أو يفسقونه إلا بدليل، ويحذرون أعظم التحذير من التكفير أو التفسيق لأحد من أهل البدع إلا بدليل ويعدون ذلك من فعل أهل البدع. وهم يفرقون بين التكفير والتفسيق المطلقين كالتكفير والتفسيق بالأفعال أو لبعض فرق أهل البدع على وجه الإجمال، وبين تكفيري المعين". انظر كلامه: ج 1 ص 14. وله أيضاً (التكفير وضوابطه).

³²⁴ في الكبائر.

³²⁵ ابن حجر الهيثمي (909 - 974 هـ = 1504 - 1567 م) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الانصاري، شهاب الدين شيخ الاسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيثم من إقليم الغربية بمصر. الأعلام، ج 1 ص 234.

³²⁶ في الزواجر عن اقتراف الكبائر. وانظر موسوعة النضرة، ج 10 ص 4718.

أولاً: الكفر الأصغر : مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »³²⁷ وقوله: «أربع من أمتي من أمر الجاهلية: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة»³²⁸.

ثانياً: الشرك الأصغر، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى - : " وأما الشرك الأصغر فكسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»³²⁹ وقول الرجل ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك ولو لا أنت لم يكن كذا و كذا... وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده". اهـ³³⁰

ثالثاً: النفاق العملي³³¹، وهو ارتكاب بعض خصال المنافقين مع الإيمان بالله ولكنها تصدر من المسلم قليلاً، ولا تصير ديدناً له.³³²

مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان».³³³

المطلب الثاني: الانحراف في العبادات:

لما كانت الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة هي تحقيق العبودية لله تعالى باتباع كتابه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإن هذه الغاية السامية مبنية على صلاح القلب وسلامة الاعتقاد، ولذا كانت التربية الإيمانية الطاقة المولدة للعبادات، والمعيار الذي يناط به.

³²⁷ رواه الطبراني في الكبير من طريق ابن مسعود، ح 9862، وقال الهيثمي في المجمع: " ورجاله ثقات "، ج 5 ص 142.
³²⁸ رواه مسلم في الجنائز باب التشديد في النياحة.

³²⁹ رواه الإمام أحمد في المسند، من مسند عبد الله بن عمر، والبيهقي في السنن الكبرى، باب كَرَاهِيَةِ الْخَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح 1166.
³³⁰ مدارج السالكين ج 1 ص 683 .

³³¹ تقدم الكلام فيه ص 105.

³³² انظر أخطاءنا في العبادات والمعاملات، د. مصطفى مراد، ص 122، دار الفجر للتراث القاهرة لا ط 1426 هـ - 2005 م.

³³³ رواه البخاري في الإيمان (24) والمظالم (17)، من حديث أبي هريرة. ومسلم في الإيمان (107)، وأبوداود في السنة، والترمذي في الإيمان .

ويكفي شاهداً لذلك عند ما نرى أنّ الإنسان يقوى في العبادات ويداوم على الطاعات ويلتزم الخضوع والتذلل لله تعالى، في حالة زيادة إيمانه وشدة خوفه للخالق الباري، بينما نراه ضعيفاً في العبادات متثاقلاً عن الطاعات في حالة نقصان إيمانه.

وقد وقعت خرافات كثيرة في الأمة فيما يتعلق بشأن العبادات، بعضها تتعلق بالواجبات وأخرى بالمستحبات، مع أن العبادات من أعظم نعم الله تعالى على عباده، وأظهر أنواع الابتلاء وأمثلة وسائل التصفية. والعبادات بأنواعها المختلفة قد أحاطت بالمرء في جميع جوانبه، ولم تعطه فرصة للانحراف والعصيان لو التزم بها.

ومن أعظمها وأكدها الأركان الأربعة (الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج) وما يتعلق بها من مسائل تقتضيها كالتطهارة وتعلم العلم، والدعوة إليه والدعاء والذكر ونحوها.

وقد يكون الانحراف الواقع في العبادات بتركها كلياً أو بترك بعضها، أو بتغيير صورتها المشروعة بالزيادة أو نقصان أو إزالتها عن كیفيتها المشروعة، فكم من مسلم اليوم متهاون في العبادات، وكم من صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا تربى النفس ولا تمسكها عن غيها، ومن زكاة لا تعصم صاحبها من الشح والبخل ولا تطهر المال، ومن صوم لا أثر له في القلب ولا يزيد الإيمان ولا يكسر الشهوة، ومن حج لا يؤدي إلى التوبة ولا إلى العبرة والاعتاظ، ومن دعاء لا يجلب الخضوع ولا يتم العبودية، والعلم الذي لا يعمل به ... وغير هذا، كل ذلك ينزل العبادات الشريفة منزلة العادات الحياتية، بسبب ضعف الإيمان وانحراف التربية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وعفى عن أشياء رحمة لكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها».³³⁴

وفيه نهى جليّ وتحذير أكيد عن تضييع شرع الله سبحانه، لأن ذلك مبدأ الشر ومنتهى الشقاء.

المطلب الثالث: الانحراف في المعاملات.

³³⁴ أخرجه الطبراني في الكبير، عن أبي ثعلبة، ج 22 ص 403، وقال الهيثمي في المجمع: "ورجاله رجال الصحيح". ح 796. والدارقطني في سننه في الرضاع، ج 4 ص 183. والبيهقي، في السنن، باب مَا لَمْ يُذَكَّرْ تَحْرِيمُهُ وَلَا كَانَ فِي مَعْنَى مَا ذُكِرَ تَحْرِيمُهُ مِمَّا يُؤْكَلُ أَوْ يُشْرَبُ. وقد حسّنه النووي في الأربعين رقم 30 - وحسّنه الألباني في الإيمان لابن تيمية.

إنّ من أقوى خصائص الشريعة الإسلامية شمولها لجميع جوانب حياة الإنسان، وإحكام الربط بعضها ببعض، فعند ما يوجّه المسلم إلى تصحيح عقيدته وإتمام عبادته، فإنّه في الوقت نفسه مطالب بإصلاح العلاقة مع بني جنسه، والسير وفق القوانين والأحكام الموضوعة لضبط الحياة.

وما أحوجنا اليوم إلى إنزال المسجّل في المصنّفات الشرعية من قسم المعاملات إلى أرض الواقع بعد ما جرّبنا مأساة القوانين الأرضية التي ما زادت للبشرية إلا قلقا وشقاوة وجورا.

ومع الأسف الشديد قد أبعد شرع الله ربّ الأرباب عن الحياة، وأهمّل شأنها، وعُودي أهلها حتى في أغلب البلد الإسلامية، فلم يبق لها أثر إلا في فئة قليلة من المتدينين، مع مخالفات عديدة فيها، وهي تتجلى فيما يلي:

أولاً: في المعاملات المالية: فقد حرّم الله كسب المال بالطرق الضارّة، مثل الربا { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } البقرة 75. وبيع الغرر، والبيع على البيع، والرشوة، والغش، والنجس، والاحتكار ... وقد علمنا أن الثروات الاقتصادية العالمية قائمة على هذه المنهيات المفسدة، والبنوك الربوية المنتشرة خير شاهد.

ثانياً: الأحكام الأسرية: والأسرة تكوّن اللبنة الأولى للمجتمع، فأولاها الشارع عناية بالغة، وأرشد الرجال الذين يحملون المسؤولية - في الدرجة الأولى - إلى الاستعداد الكامل قبل الدخول في ذلك المشروع العظيم، وأبصرهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه مع زوجاتهم وأبنائهم في بيوتهم.

ولكن نرى في هذا الجانب مخالفات تتجلى في التبتّل، والزنى، وغلاء المهور والخطبة على الخطبة، والاختلاط، والخلوّة بالأجنبيّات، والأنكحة الفاسدة (كالنكاح بلا وليّ، وتزويج الكفار من المؤمنات) وعدم قيام الزوجين بحقوق زوجة، والتبرج والسفور، كما نرى حرمان الورثة من حقوقهم، أو تقسيمها بطريقة غير شرعية، والإساءة إلى الأيتام وأكل أموالهم، وغير ذلك من المخالفات الشرعية.

ثالثاً: الجنايات والحدود: إن كانت التربية الإيمانية تحمل الفرد على ملازمة التقوى والحذر من المعاصي والمنكرات، فإن بعض أصحاب النفوس الخبيثة لا يردعهم إلا العصا، فجاءت

الشريعة الإسلامية بأحكام عادلة تحكم بين الناس بالحق، وتسوي في ذلك بين القوي والضعيف، والشريف والوضي، والرجل والمرأة، والكبير والصغير. ولمّا هاجم أعداؤنا الديار الإسلامية بأفكارهم الهدامة ودعاهم الخداعة؛ هاجموا الحدود في العقوبات تحت ستار قسوتها على الجاني، متناسين حق المجنيّ عليه، فانتشر الفساد في البرّ والبحر. وكان من أشد ما تعانيه الشعوب الإسلامية، انتشار القتل والنهب والظلم والجور والقذف والزنى وعمل قوم لوط و السحاق والسرقة، ونحوها مما يفسر البعد المؤسف عن التربية الإيمانية.

رابعاً: الأفضية والشهادات: إن هذه القوانين الوضعية - مع ما فيها من القصور - لو كانت تُنفَّذ على ما وضعت عليه لهان الأمر، ولكن لا يلتزم بمضمونها مع كل أحد بل يتحكّم فيها المال والجاه والمعرفة والعلاقة والقرابة ونحوها، إضافة إلى تولية الفساق والجهلاء والدكتاتوريين على دول المسلمين، وذلك أقوى حاجز أمام الدعوة الإسلامية وأمنع سدّ دون إنتشار الإسلام على اللائق.

المطلب الرابع: الانحراف في الأخلاق.

إن من أشد أنواع البلايا التي أصابت الأمة في حياتها الراهنة فساد الأخلاق وغياب روح الفضيلة في الحياة العامة والخاصة ولايكاد يسلم من ذلك إلا القلة القليلة ممّن تمسّك بتعاليم الوحيين وربطهما بواقع الحياة ، ففانت بذلك مصالح كثيرة في الدين والدنيا، وبطلت مهمّات للعباد، فُقدت وخيرات للبلاد.

والانحراف الخلقي بين المسلمين كثير ومتنوع، حاولت إجمالها فيما يلي:

أولاً: ترك الأخلاق الفاضلة.

ثانياً: التلبّس بالأخلاق المذمومة.

فمن الأخلاق الفاضلة المهجورة : الصبر، والإيثار، والكرم، والجود، والحلم، والشجاعة، والتوكل على الله، والرحمة والحياء، والعدل، وحبّ الخير والصالحين، والتواضع، والحرص على ما ينفع ونحو ذلك.

وأما الأخلاق المذمومة المنتشرة: فمنها اللفظية: كالغيبة، والنميمة، والكذب، واللعن، والسب، والغناء، والفخر، والهجاء وغيرها.

ومنها سمعية بصرية: كالتجسس، والاستماع إلى المعازف، والنظر إلى الأجنبية وعورات العباد وغيرها.

ومنها عملية: كالانحرافات الجنسية بجميع صورها المنتشرة، والتبرج، والسرقعة، واستخدام المخدرات، واتخاذ الصور المحرمة وغيرها.

ومنها قلبية: كالبلخ، والحسد، والغضب، وسوء الظن، والكبر، والرياء وغيرها.

هذه الانحرافات الخلقية من آثار ضعف التربية الإيمانية في أبناء المسلمين وعدم ربط العقيدة والعبادات بالأخلاق في واقع العمل والتطبيق. مع عدم وجود أي انفصال بينها، مما أدى إلى تدهور الأمة وسقوط هيبتها، وغياب سلطانها، وانكبابها في هوة الآلام والمآسي.

قال ابن القيم - رحمه الله - عقب حديث « البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يتطلع عليه الناس »³³⁵ قال: " وهذا يدلّ على أن حسن الخلق هو الدين كلّهُ وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، ولهذا قابله بالإثم"³³⁶.

وقال في مكان آخر: " الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين".³³⁷

وهذا يدل على أهمية الأخلاق ومكانتها في حياة الإنسان.

المطلب الخامس: الانحراف في الآداب.

³³⁵ رواه مسلم ح (22553) باب تفسير البر والإثم. والترمذي ح (2389).

³³⁶ مدارج السالكين، ج 1 ص 54.

³³⁷ المرجع السابق، ص 55.

ويُقصد بها الآداب الشرعية المتعلقة بالأُمور المباحة.

وهي وإن كانت لا تدخل في العبادات المأجورة في الأصل، إلا أن المسلم إذا أتى بها على الوجه المطلوب شرعا فإنّها يمكن أن ترتقي إلى منزلة العبادات، فعن أبي ذر³³⁸ - رضي الله عنه - أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون فما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدّقون بفضول أموالهم قال: « أو ليس قد جعل الله لكم ما تتصدّقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر ».³³⁹

قال النووي في شرح الحديث: " وفي هذا دليل على أنّ المباحات تصير طاعات بالنيّات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف أو طلب ولد صالح أو إعفاف نفسه ... أو غير ذلك من المقاصد الصالحة ".³⁴⁰

وكاد أن يكون الانحراف الواقع في الآداب هو عادة كثير من المسلمين دون أدنى شعور، ولاسيّما مع الإهمال الشديد الذي نلاحظه من المربّين كالأولاد والمعلّمين، وكأنّ الانحرافات العقيدة و العبادية حجت دون الاهتمام بالآداب.

ومن أكثرها شيوعا:

1 -آداب اللباس والزينة، كالتشبه بالكفار في الملبس، وحلق اللحية، وعدم التيامن، وترك الأذكار.

2 -آداب الطعام والشراب: كمجاوزة الحدّ فيهما، وترك البسملّة والذكر، و نفخ المطعوم أو المشروب.

³³⁸ أبو ذر الغفاري ، اختلف في اسمه اختلافا كثيرا فقيل : جندب بن جنادة وهو أكثر وأصح ما قيل فيه، كان من كبار الصحابة وفضلانهم قديم الإسلام . يقال : أسلم بعد أربعة وكان خامسا ثم انصرف إلى بلاد قومه وأقام بها حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وفي ذكر موته وصلاة عبد الله بن مسعود عليه ومن كان معه في موته ومقامه بالريذة أحاديث لا تطول بذكرها . وكان أبو ذر طويلا عظيما. أسد الغابة، ج 1 ص 1169.

³³⁹ رواه مسلم، في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

³⁴⁰ شرح صحيح مسلم، ج 7 ص 81، ط دار الكتب العلمية، 1995م - 1415هـ.

3 -آداب السفر، كترك الأدعية والأذكار المتعلقة بالسفر عند الوداع، والركوب، والدخول في القرية أو الخروج منها، وكالخروج يوم الجمعة، وعدم مصاحبة الأخيار.

4 -آداب الجوار، كعدم اختيار الجار الصالح، أو الإهمال في حقوقهم.

5 -آداب الضيافة والسلام و الاستئذان، كمن يزور أخاه بدون تواعد، ومن لا يختار أوقات الزيارة، وكعدم إكرام الضيف، وتجاوز الثلاثة الأيام من الضيف بدون اتفاق مع المضيف، وكترك السلام على المسلمين، أو التقليل منه، أو تخصيصه بمن يعرف، والبدء بالسؤال قبل السلام، وإجابته , وكالدخول في البيوت بدون إذن وغيرها كثير.

6 -آداب النوم، كعدم النوم مبكراً بدون عذر شرعي، وترك الأدعية والأذكار، وكترك النوم على الشق الأيمن.

وغير هذه من الانحرافات التي وقعت في الآداب الدينية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً عليها، وكذلك صحابته الكرام رضوان الله عليهم، حيث كانوا يرون العزة في الالتزام بها والفضل في العيش معها، فقد أصبحت الآن موضوعة على هامش الحياة ومعدودة من نوافل العمل.

المبحث الثاني: أسباب الانحراف عن التربية الإيمانية.

وفيه تمهيد و مطلبان:

تمهيد :

بعدما رأينا سابقاً آثار التربية الإيمانية في الفرد والمجتمع، وبعدما مررنا على بعض مظاهر الانحراف عن التربية الإيمانية في حياة الأمة، فإن المسلم المتبصر سيشعر - بلا شك - في قلبه شيئاً من التأسف والحزن لفوات كثير من آثار التربية الإيمانية عن واقع كثير من أبناء الأمة، وسيجول خاطره - بلا ريب - بحثاً عن سبيل مقاومة ظاهرة الانحراف عن التربية الإيمانية.

ومن أقرب السبل الميسرة لذلك تجلية أسباب تلك المظاهر وتشخيصها، ثم السعي بإزالتها وتنحيها انطلاقاً من العلم الشرعي ومروراً بالتخطيط الواقعي فانتهاه إلى التنفيذ الناجح.

وفي هذا المبحث سوف أتناول - إن شاء الله - أهم أسباب الانحراف عن التربية الإيمانية، في مطلبين، لأننا إذا فحصنا أسباب الانحرافات الإيمانية وجدنا أنّ بعضها تعود إلى تهاون المسلمين أنفسهم بالالتباس بما حذرهم عنه الشارع أو بترك ما أمروا بالتمسك به، وبعضها الأخرى خارجية وضع خططها وأشعل نارها أعداؤهم الذين يتربصون بهم الدوائر.

المطلب الأول: الأسباب الداخلية.

إنّ هناك مخالفات كثيرة يرتكبها المسلمون هي سبب لما يصيبهم دائما من النكبات والضعف وما يصلون إليه من التخلف والوهن، قال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} الشورى 30.

وترجع الأسباب الداخلية إلى أمور كثيرة متفرقة، بعضها فردية وأخرى جماعية، ويمكن حصرها في ثلاثة أسباب رئيسة هي:

أولاً: قلة العلم الشرعي: إن أكبر نكبة أصيب بها المسلمون اليوم هي انتشار قلة العلم الشرعي وعدم التفقّه في دين الله والتدبر في الكتاب والسنة، وهذا هو الذي زعزع أركان عقائدهم وشئت شملهم وخيب مساعيهم، ودفع حياتهم إلى الفوضى والفساد. إنّ جهل كثير من الناس بأمور دينهم وانشغالهم عن إتباع منهج الإسلام، وإهمالهم تربية أولادهم حال دون الوصول إلى فهم حقيقة الإسلام، وترتب عليه ضعف الوازع الديني الذي له الأثر الكبير في فساد الناس وانحراف أخلاقهم.³⁴¹

فقلة العلم الشرعي يجعل الإنسان ضعيف الإيمان وينتج من ذلك شرور عظيمة وأضرار كثيرة منها:

- 1 - عدم الخوف من الله تعالى وعدم خشيته ومراقبته.
- 2 - عدم تعظيم حرّمات الله تعالى.
- 3 - ضعف القدرة على التحكم على النفس في جميع الأمور.
- 4 - الجهل بحقيقة دوره في الحياة.

³⁴¹ انظر: المنظور الإسلامي لظاهرة تعاطي المسكرات، لسعد هلال الكبرى، ص 129، ط 1، 1416هـ.

5 -التنافس الشديد في متاهات الدنيا، والمنكر والخداع والخيانة .³⁴²

إلى غير ذلك من نتائج وخيمة يتجرّع كأس مرارتها من علم ومن جهل.

السبب الثاني: اتّباع الهوى: يعتبر الهوى من أضرّ الأعداء على الإنسان، وبلاؤه أصعب

البلايا، وعلاجه ليس باليسير؛ لأنه صاحب خفيّ، وعدوّ محبوب.

والهوى هو: " إثارة ميل النفس إلى الشهوة، والانقياد لها فيما تدعو إليه من معاصي الله

عز وجل ".³⁴³ ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: « إن الحمد لله نحمده

ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ...».³⁴⁴

والإنسان حينما يختار الملذات الدنيوية فقط وينساق وراء أهوائه، فإنه يكون في معيشتة أشبه

بالحيوان بل أضل، لأنه لم يستخدم عقله الذي ميزه الله به على الحيوان، قال الله تعالى: { أَرَأَيْتَ

مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 43- 44.

إنّ هوى النفس من أقوى الأسباب المؤدية إلى الانحراف عن التربية الإيمانية، لأنها إذا مالت

للشهووات فإنّها تميل كذلك بالقلب والعقل والذهن، عندئذ لا ينفع معها نصح أو إرشاد.

السبب الثالث: ضياع المسؤولية: إنّ تبعات ومسؤوليات ولاية الناس ليست من الأمور

السهلة، بل إنّها في المنهج الإسلامي تفويض لأداء أمانة عظيمة تتطلب بذل تمام الجهد في كلّ ما

يوكل للإنسان من أعمال ومهام، وهي شاملة لكلّ من استرعى الله تعالى الإنسان من تربية

وتوجيه .³⁴⁵ وتنقسم مسؤولية القيام بالتربية الإيمانية أربعة جوانب ينبغي أن تتضافر جهودها

وتجتمع قدراتها وتشترك آلياتها في سبيل التغيير :

³⁴² انظر: الفساد الخلقي في المجمع، د. ناصر بن عبد الله التركي، ص142، ط 1، 1423هـ.

³⁴³ موسوعة النضرة، ج 9 ص 3752.

³⁴⁴ رواه الإمام أحمد في المسند، في مسند عبد الله بن عباس. قال الحافظ ابن حجر: " رَوَاهُ أَحْمَدُ , وَالْأَرْبَعَةُ , وَحَسَنَةُ التِّرْمِذِيُّ ,

وَالْحَاكِمُ " . بلوغ المرام من أدلة الأحكام، كتاب النكاح، ص197، مكتبة الصفا، القاهرة، ط 1، 1425هـ- 2004م.

³⁴⁵ مساوى الأخلاق وأثرها على الأمة، د. خالد بن حامد الحازمي ص 142، ط 2، 1426هـ، وزارة الشؤون الإسلامية

والأوقاف والدعوة والإرشاد.

أرباب البيوت، وعلماء المسلمين، ورؤساء الدول، والمؤسسات التربوية. ولا يخفى ما نلاحظه في كل فريق من تقصير ظاهر وإهمال بارز.

- فبعض العلماء لا يهّمه الدعوة الخالصة، ولا يسعى لتغيير منكر ولا أمر بمعروف، فكأنّه إذا اعتنى بنفسه ووثق صلته بالله كفاه ذلك ظنّاً منه أنه وصل إلى شاطئ الأمان، وذلك خطأ كبير يجب تصحيحه.

- فأما رؤساء الدول الإسلامية فقلّ أن تجد منهم من يعرف الإسلام معرفة صحيحة، لأنّهم إمّا ما تعلموا الدين أصلاً، أو تعلّموه تعلّماً خاطئاً، فلا يعرفون أن الله سبحانه، قد جعل في دينه جميع حاجات البشر من عقيدة وعبادة وسياسة، ولذا لا يرجعون إلى الإسلام لحلّ مشكلات المجتمع مما يجلب لهم الفشل دائماً، وخاصة في المهمّات التربوية.

- وأما المؤسسات التربوية، فالمراد بها: الأمكنة المعدّة للتربية والإصلاح، مثل: المدرسة والمسجد والسجون ...

وتقع على عاتق هذه المؤسسات - أيضاً - مسؤولية العناية التربوية، عن طريق غرس الإيمان والفضائل الخلقية بين أفرادها، ومعالجة التصرّوات الخاطئة، ولكن أغلبها لم تفلح في ذلك.

وهذا بدوره أدّى إلى انحرافات عن دين الله، أشدّها فساد العقيدة، وضعف الإيمان، والانشغال بإصلاح الأمور المادي، والاهتمام بشأن السلام والجو الآمن.

وكان الأولى أن تكون تلك الحوادث عظة يتعظّ بها المسلمون ليرجعوا إلى دينهم ويتمسّكوا به.

قال الله تعالى: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } سورة المجادلة 21.

وقال : { إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } سورة محمد 7.

فالنصر التمكين لا يكونان مع الركون إلى متاع الدنيا، بل مع الإيمان والصبر والثبات.

المطلب الثاني: الأسباب الخارجية.

حاول أعداء الإسلام منذ أن سطع نوره أن يكيدوا له بشتى الوسائل المختلفة، لكي يقضوا على الإسلام وأهله، والتاريخ شاهد مبين، ولكن إذا كانت هناك وقاية تصدّ ذلك الكيد فإنه لا يؤثر.

قال الله تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} آل عمران 120. "ولمّا فقد المجتمع الإسلامي روح الالتزام بهذين الشرطين – الصبر والتقوى – عندئذ بدأ الوهن يسري في كيان المجتمع محاولة منهم للإجهاد عليه".³⁴⁶

ومن أضرّ وأخطر الوسائل التي استخدمها:

أولاً: الحروب الدامية: "لقد شهد العالم الإسلامي محاولات ومؤامرات ومكائد لا تحصى عدّا ولا تقدر ضخامة وشراسة استهدفت القضاء على الإسلام وتركيع المسلمين ومصادرة ونهب خيرات العالم الإسلامي ومقدراته".³⁴⁷

وهي كثيرة ومتتالية، كان من أشدها:

الغزو الثقافي، والحرب الصليبية، وهجمات الاستعمار، ومكائد اليهود، وثورات الشيوعيين.

وكّلها تركت في المسلمين أوضاعاً مذهلة، وآثاراً مظلمة، جعلت الأمة تفقد وزنها على الساحة الدولية بعد أن كانت هي الأولى في كلّ شيء، فأصبحت اليوم في ذيل الأمم، يتحكّم في شؤونها عبّاد الصليب، وصاروا متفرّقين متمزّقين ومتناحرين.

ثانياً: الغزو الثقافي: إن أعداء الإسلام قاموا باستخدام الغزو الثقافي في العصر الحاضر عند ما تبين لهم الفشل الذريع والهزائم المتتالية التي خرج بها الصليبيون من حروبهم العسكرية الأولى مع المسلمين في القرنين الخامس والسادس الهجريين.³⁴⁸

³⁴⁶ انظر مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه / د. عبد الله سليمان المشنوفي ص 237-238. مكتبة المنار الزرقاء ط الأولى 1407 هـ -

1987م.

³⁴⁷ العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري – فتحي يكن ص 9 مؤسسة الرسالة ط الأولى 1401 هـ 1981م بيروت.

³⁴⁸ انظر: واقعنا المعاصر لحمد قطب ص 196 مؤسسة المدينة للصحابة جدة ط الثانية 1408 هـ.

ولا يقلّ خطره عن خطر الجنديّ والسلاح في المعارك الضاربة التي يشنونها وهدفهم الأوّل منه هو: محاولة إبقاء الشعوب الإسلامية ضعيفة هزيلة لا حول لها ولا قوة نابذة لقيمها الدينية، خاضعة لنفوذها، مطبقة لمبادئهم الخبيثة.

وقد كانت أهم وسائلهم في هذا الغزو تتمثل في وسيلتين هما:

1 - وسائل تعليمية. 2- وسائل إعلامية.

• الوسائل التعليمية:

يعتبر مجال التعليم من أخطر المجالات، والسيطرة عليه يعني سيطرة على مستقبل الأمة، وتحكّم في خطواتها في كافة مجالات الحياة.

ولذا وجّه الأعداء جلّ اهتماماتهم نحو إفساد التعليم، فجاءوا بخطط ومناهج ومواد تعليمية، وبنوا مؤسسات وأنفقوا أموالاً... ليعدّوا أجيالاً لا يعرفون الصلة بالله تعالى، ولا يعملون إلّا لأجل الشهوات.

• الوسائل الإعلامية:

" إن للإعلام - بوسائله المختلفة - خطورته وتأثيره على عقول الناس وأرواحهم، فهي تؤثر فيهم خلال الكلمة مقروءة أو مسموعة، أو من خلال الصورة المنظورة، وإنّ أكثر وسائل الإعلام المختلفة اليوم مسخرة لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، والسعي بالفساد في الأرض، وفي هذا تحطيم للأخلاق والقيم".³⁴⁹

وقد بذل أعداء الإسلام كلّ جهودهم ليسيّطروا على مراكز الإعلام في العالم فنالوا بغيتهم وحققوا كثيراً من أهدافهم.

³⁴⁹ انظر: الفساد الخلقي، ص 127، نقله من أساليب الغزو الفكري، ص 70-71- علي جرشة.

المبحث الثالث: حلول مقترحة لمعالجة الانحراف عن التربية الإيمانية.

وفيه تمهيد مطلبان:

تمهيد:

لقد بان لنا من خلال المبحثين السابقين أن الانحراف عن التربية الإيمانية قد وقع حقيقة في الأمة الإسلامية، وترك أمراضا عقديّة وسلوكيّة، وأفرز سموما فتّاكة على أبنائها، وجعلهم يفقدون مجدهم الذي بناه أسلافهم، ويعانون من غياب الصورة المسلمة الممتازة التي يريدونها الشارع من الإنسان المؤمن خليفته في الأرض.

وإذا أيقنّا أنّ هذا الانحراف هو أشد مصائبنا في هذه الفترات، وأنّ أسبابه معروفة لدينا واضحة أمامنا، فكذلك يجب أن نوقن بأن لتلك المصيبة طرقا شرعيّة ووسائل علميّة، وأساليب عمليّة، يمكن أن يواجه بها جميع مظاهر الانحراف عن التربية الإيمانية.

وسأكتفي بذكر حلين شاملين أقترحهما على الداعي وأعرضهما أمامه ليأخذ بهما إلى سبيل التغيير الذي يسعى إليه كثير من أولي الهمم العالية، ويأمله كل مسلم غيور بدينه:

المطلب الأول: الرجوع إلى الكتاب والسنة علي فهم سلف الأمة.

" إن الله- تبارك وتعالى- قد أنعم على هذه الأمة من جملة نعمه عليها بنعمة عظيمة وجليلة، ألا وهي نعمة كمال الدين وتمامه فلم يتوفق رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن أكمل له الدين ورصيه له ولأمته، فأنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأشهر في حجة الوداع قوله: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } المائدة 3.

قال بن عباس- رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية: " أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضىه فلا يسخطه أبدا " 350.

وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم

بهما كتاب الله وسنة نبيه ». 351.

وما كل ما يحدث لنا اليوم إلا من جرّاء الإعراض والصدّ عن هدى الوحيين الصافيين، وصدق الله تعالى إذ يقول: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } طه 124.

ولا شك أنّ الأمة الإسلامية في حاجة ماسّة إلى هداية إلى معالم الشرع، وأنّ العودة إلى الكتاب والسنة فرض على كل مسلم وليس تطوّعا ولا نفلا، فلا عزّ لنا ولا نصر ولا كرامة إلا بذلك.

فالكتابة والسنة أصلا الإسلام والإيمان فمن كفر بالكتاب أو السنة فقد كفر بالإسلام كلّهُ.

وهناك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تدلّ على وجوب الالتزام بهما:

قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء 59.

350 موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، ج 1 ص 73.

351 رواه مالك في الموطأ، كتاب القدر، من البلاغات ص 686- ط دار الحديث. قال ابن عبد البر: " وهذا أيضا محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد وروى في ذلك من أخبار الأحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة وعمر بن عوف ". ثم ساق بسنده إليهما. التمهيد، ج 10 ص 525. والحديث أخرجه أيضا الحاكم في المستدرک، 931 بنحوه كتاب العلم عن أبي هريرة.

و قال تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ } الحشر 7.

وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: " إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَإِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ".³⁵²

فيجب على المسلمين عامة أن يتبعوا الكتاب والسنة في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، ويتجنبوا الابتداع ما لم يأذن به الله ولم يشرعه رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يقتفوا آثار السلف الصالح في تأويل نصوص الوحيين.

وعند الرجوع إلى الكتاب والسنة يلزم أن يكون بفهم السلف الصالح، وهم الصحابة والتابعون ومن تمسك بهديهم من بعدهم.

فالصحابة - رضي الله عنهم - شهدوا تنزل القرآن الكريم والحوادث التي نزل فيها، وهم أعلم الناس باللغة وبما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد زكاهم الله تعالى في آيات كثيرة منها:

قوله: { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا } البقرة 137. فهذه تركية ما بعدها تركية.

وقال تعالى: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } البينة 8.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي...»³⁵³. وقال: « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ».³⁵⁴

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدلّ على حتمية لزوم طريق السلف لمن أراد أن يتمسك بهدي الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

³⁵² أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإعتصام، باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

³⁵³ رواه أبو داود، باب في لزوم السنة. والترمذي، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع. وقال حديث حسن صحيح.

³⁵⁴ رواه البخاري في الشهادة عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد. ومسلم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

فمن ابتغى تأويل الوحيين على خلاف ما فهموا فقد سلك مسلك الضلال وساق نفسه إلى الظلمات، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : " من كان مستنّاً فليستنّ بمن قد مات أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا خير هذه الأمة، وأبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرأقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم ".³⁵⁵ وقال الإمام الأوزاعي: " عَلَيْكَ بِأَثَرِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخَرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي، وَأَنْتَ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ".³⁵⁶

المطلب الثاني: توفير وسائل الدعوة السليمة.

إنّ التربية في العصر الحديث أصبحت بعيدة الأطراف متعددة الوسائل مختلفة الأساليب بفعل التطور التكنولوجي والفكري واختلاف الأماكن والمفاهيم التربويّة، كما يشهد عالمنا اليوم اختلاط الأمم والثقافات مما أدى إلى صعوبة حصر التربية تحت زاوية معينة، بل أصبح من الصعوبة بمكان حفظ الدين وتحصين الناشئ ضدّ التيارات الغربية الفاسدة.

ومن هنا كان لا بدّ لمن يوكل على عاتقه مسؤولية التربية الإسلامية أن يضع نصب عينيه هذه العوامل المؤثرة في التربية الحديثة وألاّ يحصر نفسه في دائرة ضيقة من الوسائل.

فالمرابي الناجح يأخذ بالتنوع في وسائل التربية، وما يناسب مع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، مع الحفاظ على ثواب التربية وأصولها

ومن أهم الوسائل الحديثة التي ينبغي الاستفادة منها ما يأتي:

أولاً: المراكز التعليمية: كالمعاهد والجامعات والمساجد...

ثانياً: المؤسسات الاجتماعيّة الخيريّة: التي تجمع الأموال من الأغنياء وتحسن في إيصالها إلى مصالحي الأمة.

³⁵⁵ أخرجه البغوي في شرح السنة ، في كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء، ج 1 ص 214 ، المكتب الإسلامي - دمشق - ط

3، بيروت - 1403 هـ - 1983م.

³⁵⁶ السير الذهبى ج 5 ص 300، الصفا - القاهرة ، ط الأولى 1424 هـ - 2003م.

ثالثاً: القوافل الدعوية التي تصل إلى المناطق النائية وتبلغ الدعوة بأحسن الطرق الناجحة.

رابعاً: الكتابة والتأليف في المجالات أو الكتب النافعة...

خامساً: المحاضرات والندوات التي توصل الدعوة إلى الحاضرين والغائبين بالأشرطة

ونحوها.

سادساً: وسائل الاتصالات المعاصرة مثل الإذاعة و التلفزة والإنترنت وما يتصل بهما .³⁵⁷

كلّ هذه وغيرها ينبغي الاهتمام بهما، وعدم إهمال جانب واحد منها - بقدر الإمكان - وإلا لا نفسح المجال لأصحاب النفوس الخبيثة، ولحلت التربية الغربية المنحرفة محلّ التربية الإيمانية المصلحة.

³⁵⁷ الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية / د. صالح الراقب. مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة - كلية أصول الدين 17 / 04 / 2005. <http://ktaby.com/vb/t36678>

الخاتمة

وبعد هذا الجهد المبذول فقد توصلت إلى نتائج جمة تستوقفني في نهاية هذا البحث لأسجل مزامنها على ما يأتي :

- 1 - أن المجتمعات البشرية التي سبقت دين الإسلام - من الهنود والصينيين والفارسيين والرمانيين والعرب وغيرهم - كانت فاقدة الاعتدال هالوية في الضلال.
- 2 - إن مسيرة حياة أي أمة من الأمم إنما تناط بمستواها الفكري ومستقاها الإعتقادي ومصدرها التربوي .. وإن للأمة الإسلامية قصب السبق في ذلك كله.
- 3 - إن التربية الإسلامية بما فيها من أسس متينة، وأهداف نبيلة، ومصادر صافية - هي الكفيلة على إعطاء الفرد السعادة الكاملة المعينة بناء الحضارة للشعوب والجماعات! إذا علمنا أن السعادة هي طهارة النفس وصفاء القلب، وإذا علمنا أن الحضارة هي ترقية روح الإنسان قبل ترقية العمران.
- 4 - إن تعليم الأمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتزكيتها بذلك، وحملها على العمل بهما، هي التي تحقق السعادة للفرد والأسرة والمجتمع معاً، بدون طغيان بعضها على بعض، كل يأخذ حقه، ويؤدي واجبه، بدون صراع ولا نزاع ولا تطاحن، بل برضا واطمئنان، فلا يفرض أمن فرد ولا أسرة ولا مجتمع بقوة السلطة فحسب، لأن الفرد والأسرة والمجتمع يؤمنون بالواجبات والحقوق، وبالتعاون على البر والتقوى، فلا

- طغيان لأحد على سواه، وإذا أراد أحد الاعتداء على غيره، وجد ما يردعه من أحكام الشرع التي كلف الله الأمة تطبيقها على القوي والضعيف.³⁵⁸
- 5 - مهما اختلفت آراء العلماء وتشابكت مذا بهم حول مسائل الإيمان ... فإن المنهج الوسط والمذهب الحق لا يختفي في ثنايا ولا يضيع في أحوال الشبهات. فمذهب أهل السنة والجماعة : أن الإيمان اعتقاد بالجنان، وقول باللسان وعمل بالأركان، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأنهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة ولا يسلبونه مسمى الإيمان كلياً، بل يقولون : مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته ...
- 6 - على المؤمن أن يجعل أكبر همه وأقصى جهده الثبات على إيمانه الذي إنما اهتدى إليه بفضل من الله ورحمة ... وأن يدوم على المنافسة إليه، ويقوم على المحافظة عليه، ليصل إلى أعلى مراتبه التي إمتاز بها الأبرار وفاز بها الصالحون . هذا الإيمان ليس مجرد معلومات تحصل، ولا مجموعة اكتشافات تعرف، ولا نوع شهادات تنال، إنه سر كامن بين العبد وربّه قبل كونه انتساباً طائفيّاً أو مظهرّاً تعبدياً. فبقدر ما يعتني به المرء يكون له فيه الحظ والنصيب.
- 7 - أن الإنسان الذي لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، ولم يصل إلى أغوار نفسه، إنسان حائر لئيم، لأنه معترض لبارئه معاكس لفطرته
- 8 - إن على أساس هذا الإيمان ينبغي أن يكون المعيار العام الذي يميز به بين الإنسان الصالح والإنسان الكالح، وبين الشيء النافع والشيء الضار، ... وأما أن يكون المعيار هو المال أو الحسب والجاه أو الشكل والمظهر، أو الجنس والعرق ... فذلك قلب للموازن واعتداء على الحقيقة وظلم للبلاد والعباد ونشر للفساد والرذيلة.
- 9 - « أن من كرمته عليه نفسه وكبرت عنده صانها وحماها، وزكاها وعلاها، ووضعها في أعلى المحال، وزاحم بها أهل العزائم والكمالات. ومن هانت عليه نفسه وصغرت عنده ألقاها في الرذائل.. وأطلق شناقها، وحلّ زمامها وأرخاه. ودساها ولم يصنها عن قبيح. فأقل ما في تجنب القبائح : صون النفس »³⁵⁹
- 10 - وقد تبين من خلال البحث أن هناك فارقاً كبيراً بين واقع العلاقات الاجتماعية التي تسود الأسرة اليوم وبين واقع الأسرة في المنظور الإسلامي كذلك الشأن مع ذوي الأرحام والجواز وبقية أفراد المجتمع، كما أن المعايير الأخلاقية أصابها انحراف بسبب بعد الناس عن دين الله.

³⁵⁸ أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، د عبدالله قادري الأهل، ج 1 ص 10، المكتبة الشاملة.

³⁵⁹ مدارج السالكين لابن القيم ج 1 ص 448.

11 - إن السبب الأساس الذي أدى إلى هذا الوهن الذي تعيشه الأمة الإسلامية حتى طمع فيها أعداؤها، وتفرق أفرادها، وتضاعفت أمراضها، وغفلت عن غيها، إنما هو البعد عن التربية الإيمانية وفساد العقيدة وخلطهما بالبدع والشبهات.

12 - ضخامة المسؤولية المتعلقة على عاتق المسلم أمام هذا العالم التائه، لما يملكه من العقيدة الصحيحة التي بها ينبغي أن ينقذ الإنسانية المعذبة في ظلمات الكفر والضلال، ودركات الجهل والعصيان إلى نور الشريعة والإيمان، ودرجات العلم والإحسان.

ولست أنسى وقد وصلت إلى هذا المنتهى أن أرفع طلبي إلى إخواني ليشتيروا إلي أي نقص لاحظوه فيه ولينبهوا على أي خطأ وقفوا عليه فإن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

هذا صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفهارس العامة:

- (1) فهرس الآيات.
- (2) فهرس الأحاديث.
- (3) فهرس المراجع.
- (4) فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات			
الصفحة	رقمها	الآية	السورة
65	6	إياك نعبد	سورة الفاتحة
33	143	وما كان الله ليضيع إيمانكم	سورة البقرة
39	257	الله ولي الذين آمنوا	
45	30	وإذ قال ربك للملائكة	
66	186	وإذا سألك عبادي عني	
72	78	كذلك يحي الله	
77	172	يا أيها الذين آمنوا كلوا	
77	190	ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة	
85	285	آمن الرسول	
105	34	وإذ قلنا للملائكة	
106	165	ومن الناس من يتخذ	
109	102	ولكن الشياطين كفروا	
126	137	فإن آمنوا بمثل	

40	173	الذين قال لهم الناس	سورة آل عمران
59	190	إن في خلق السماوات	
81	103	واعتصموا بحبل الله	
122	120	وإن تصبروا وتتقوا	
125	59	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله	سورة النساء
106	116	إن الله لا يغفر	
107	60	ألم تر إلى الذين يزعمون	
108	61	وإذا قيل لهم تعالوا	
124 - 45 - 43	3	اليوم أكملت لكم	سورة المائدة
51	15	قد جاءكم من الله نور	
78	30	حرّمت عليكم الميتة	
110	23	وعلى الله فتوكلوا	
75	8	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين	
40	81	وكيف أخاف ما أشركتم	سورة الأنعام
29	38	ما فرطنا في الكتاب	
69	82	الذين آمنوا ولم يلبسوا	
109	162	قل إن صلاتي	
50	43	الحمد لله الذي هدانا لهذا	سورة الأعراف
78	31	يا بني آدم خذوا	
84	62	أبلغكم رسالات ربي	
102	10	ولقد مكناكم	

41	2	إنما المؤمنون الذين	سورة الأنفال
40	124	وإذا ما أنزلت سورة	سورة التوبة
83	71	والمؤمنون والمؤمنات	
106	31	اتخذوا أحبارهم	
107	67	ولئن سألتهم ليقولن	
40	62	ألا إن أولياء الله	سورة يونس
45	61	هو أنشأكم من الأرض	سورة هود
71	109	ولئن أذقنا الإنسان	
106	19	من كان يريد الحياة الدنيا	
40	24	ولقد همت به	سورة يوسف
72	2	إنا أنزلناه قرآنا	
52	99	إنه ليس له سلطان	سورة النحل
70	127	ولا تحزن عليهم	
88	14	وهو الذي سخر البحر	
39	97	من عمل صالحا	
72	36	ولا تقف ما ليس لك	سورة الإسراء
105	35	ودخل جنته	سورة الكهف
39	96	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	سورة مريم
		سيجعل	
125	124	ومن أعرض عن ذكرى	سورة طه
74	15	ثم إنكم بعد ذلك	سورة المؤمنون
73	115	أفحسبتم أنما خلقناكم	

77	51	يا أيها الرسل كلوا	
74	51	إنما كان قول المؤمنين	سورة النور
79	47	وهو الذي جعل لكم	سورة الفرقان
120	43	أرأيت من اتخذ	
106	97	تالله إن كنا	سورة الشعراء
47	64	أمن يبدأ الخلق	سورة النمل
64	69	والذين جاهدوا فينا	سورة العنكبوت
105	67	ومن أظلم ممن افترى	
106	65	فإذا ركبوا في الفلك	
85	46	ولا تجادلوا أهل الكتاب	
25	3	فطرة الله التي فطر	سورة الروم
54	30	فأقم وجهك للدين	
27	28	إنما يخشي الله	سورة فاطر
74	40	لا الشمس ينبغي لها أن تدرك	سورة ياس
57	9	قل هل يستوي الذين يعلمون	سورة الزمر
73	29	ضرب الله مثلا رجلا	
109	28	قل أفرأيت ما تدعون	
34	3	شرع لكم من الدين	سورة الشورى
119	30	ما أصابكم من مصيبة	
87	72	وتلك الجنة التي أورتتموها	سورة الزخرف
45	18	ثم جعلناك على شريعة	سورة الجاثية
105	3	والذين كفروا عما أنذروا	سورة الأحقاف

109	5	ومن أضل ممن يدعو	
121	7	إن تنصروا الله ينصركم	سورة محمد
69	4	هو الذي أنزل السكينة	سورة الفتح
81	10	إنما المؤمنون إخوة	سورة الحجرات
76	11	يا أيها الذين آمنوا لا يسخر	
76	12	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا	
85	13	يا أيها الناس إنا خلقناكم	
48 - 38	14	قالت الأعراب آمنا	
49	17	يمنون عليك أن أسلموا	سورة ق
74	16	ونحن أقرب إليه	
27	56	وما خلقت الجن والإنس	سورة الذاريات
63	55	وذكر فإن الذكرى	
29	3	وما ينطق عن الهوى	سورة النجم
88		وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ	
71	27	كل من عليها فان	سورة الرحمن
121	21	كتب الله لأغلبن	سورة المجادلة
40	11	ما أصاب من مصيبة	سورة الحشر
64	18	يا أيها الذين اتقوا	
107	11	ألم تر إلى الذين نافقوا	
125	7	وما أتاكم الرسول	
60	6	لقد كان لكم فيهم أسوة	سورة الممتحنة

88	10	فإذا قضيت الصلاة	سورة الجمعة
105	3	ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا	سورة المنافقون
71	2	خلق الموت والحياة	سورة الملك
58	19	واسجد واقترب	سورة العلق
126	8	رضي الله عنهم ورضوا عنه	سورة البينة

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرفة الحديث	ح
76	آية المنافق	حرف الألف (أ)
61	اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم	
79	إذ أتيت	
65	إذا تقرب إلي	
85	أحب الدين	
79	إذا سمعتم الطاعون	
79	إذا شرب الكلب	
52	إذا كان يوم القيامة	
111	أربع من أمتي	
74	أكمل المؤمنين	
49	ألا وإن في الجسد	

85	أنصر أخاك	
62	انطلق بنا	
74	أن تعبد الله كأنك	
34	أن تؤمن بالله	
51	إن أهل الجنة	
109	إن الرقي	
66	إن الله حي	
76	إن الله طيب	
113	إن الله فرض	
49	إنّ فقههم قليل	
98	إن الله أمرني أن أقرأ	
82	الإيمان بضع	
86	الإيمان بالله	
59	أنا عند ظن عبدي بي	
91	أوصيكم بتقوى الله عز وجل	
116	أوليس قد جعل الله	
84	بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم	حرف الباء (ب)
116	البر حسن الخلق	
83	ثلاث من كن فيه	حرف الثاء (ث)
61	خير القرون قرني	حرف الخاء (خ)
98	خيركم خيركم لأهله	
75 - 49	عجبا لأمر المؤمن	حرف العين (ع)

61	عليكم بسنتي	
77	فإن لجسمك	حرف الفاء (ف)
79	فرّ من المجنوم	
126	فعليكم بسنتي	
60	القرآن شافع	حرف القاف (ق)
79	قم أو قعد	
81	القرآن حبل الله	
91	كلكم راع	حرف الكاف (ك)
103	كان رجل ممن كان	
89	كسب الرجل	
75	لا تدخلوا الجنة حتى	حرف اللام (ل)
77	لا تزول قدما	
82	لا يؤمن أحدكم	
88	لا يعدل بالرعة	
89	لأن يحتطب أحدكم	
109	لا عدوى ولا طيرة	
41	من رأى منكم	حرف الميم (م)
55	ما من مولود	
57	من يرد الله به	
62	مثل الجليس	
71		
75	ما من مصيبة	
79		

81	من كان يؤمن بالله	
26	ما أنزل الله داء	
80	المؤمن للمؤمن	
81	المسلم أخو المسلم	
81	مثل القائم	
108	من علق تميمة	
110	من كان حالفًا	
111	من أتى عرافًا	
111	من حلف بغير الله	
58	وما تقرب	حرف الواو (و)
63	والذي نفسي بيده لتأمرن	
89	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ	
125	وقد تركت فيكم	
41	يدخل أهل الجنة	حرف الياء (ي)

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- (1) الإتجاهات المعاصرة في التربية المقارنة. للدكتور/ محمد منير مرسى, عالم الكتب , القاهرة لا ط.
- (2) إحياء علوم الدين. للإمام أبي حامد بن محمد الغزالي - دار الآفاق العربية القاهرة- (ط 1) 2004م.
- (3) أخبار القضاة, لوكيع محمد بن خلف بن حبان. عالم الكتب - بيروت- (ط 1) 1422 هـ - 2001م.
- (4) أخطاءنا في العبادات والمعاملات. للدكتور/ مصطفى مراد - دار الفجر للتراث - القاهرة, ط 1426 هـ - 2005م.
- (5) أدب الدين والدنيا. لعلي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الإيمان- المنصورة.

- (6) الأدب المفرد. للإمام لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري- دار الغد الجديد - القاهرة, (ط 1) 1428 هـ - 2007 م.
- (7) الأذكار المتخب من كلام سيد الأبرار. للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي - مكتبة الصفا - القاهرة, (ط 1) 1422 هـ - 2001 م.
- (8) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل, لمحمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي - بيروت , (ط 1) 1399 هـ - 1979 م.
- (9) استمتع بحياتك. للدكتور/ محمد بن عبد الرحمن العاريفي - مكتبة الصفا - القاهرة, (ط 1) 1429 هـ - 2008 م.
- (10) أساسيات في التربية. لخليفة يوسف الطراونة- دار الشروق- 2004 م.
- (11) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة. للدكتور/ حمد بن ناصر العمار- مركز الدراسات والإعلام - الرياض, (ط 1) 1416 هـ - 1996 م.
- (12) الإسلام في حياة المسلم. للدكتور/ محمد الباقي - مكتبة وهبة -القاهرة, (ط 3) 1393 هـ - 1973 م.
- (13) أصول التربية الإسلامية, للدكتور/ خالد بن حامد الحازمي - مكتبة دار الزمان - المدينة المنورة - (ط 2) 1426 هـ - 2005 م.
- (14) أصول التربية الإسلامية - الثقافية والفلسفية- للدكتور/ محمد منير مرسى, عالم الكتب - القاهرة - لا ط, 1977 م.
- (15) أصول الإسلام في مواجهة التحدي الفكري. لمحمد بن مهنا آل علي دار المؤيد - الرياض - (ط 1) 1418 هـ - 1998 م.
- (16) أصول التربية الإسلامية وأساليبها. لعبد الرحمن النحلاوي- دار الفكر - دمشق (ط 1) 1399 هـ - 1979 م.
- (17) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - دا الكتب العلمية- بيروت 417 هـ - 1996 م.
- (18) الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي- رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض , (ط 2) 1424 هـ - 2003 م.

- (19) الأعلام. لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، ت 1396هـ - دار العلم للملايين - ، (ط 15) ، 2002 م.
- (20) أهداف التربية الإسلامية. للدكتور/ ماجد عرسان الكبلاني - مكتبة دار التراث- المدينة المنورة، (ط 2)، 1408هـ - 1988م.
- (21) أهمية الإيمان وآثاره في بناء الفرد والمجتمع. لمحمد رفعت أحمد زنجبير - دار الثقة - مكة المكرمة، (لا ط) 1409هـ .
- (22) الإيمان. لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الكتاب العربي - بيروت، (ط 1)، 1414هـ - 1993م.
- (23) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه. للدكتور/ لمحمد نعيم ياسين، (ط 4) لا سنة.
- (24) الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع. للدكتور/ محمد عبدالله الشرقاوي - دار الجيل - بيروت، (ط 2)، 1410هـ - 1990م.
- (25) الإيمان والحياة للدكتور/ يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة- القاهرة، (ط 16)، 1428هـ - 2007م.
- (26) البداية والنهاية. لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير- دار الفكر - بيروت (ط 2)، 1418هـ - 1997م.
- (27) بلوغ المرام من أدلة الأحكام. للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني - مكتبة الصفا- القاهرة، (ط 1)، 1425هـ - 2004م.
- (28) بناء المجتمع الإسلامي. للدكتور/ عبد الرحمن بن مبارك الفرّح - دار الفرقان - الرياض ، (ط 1) ، 1418هـ - 1997م.
- (29) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للحافظ محمد بن أحمد الذهبي - دار الكتاب العربي - بيروت، لا ط، 1423هـ - 2003م.
- (30) تاريخ الأمم والرسل والملوك. لمحمد بن جرير الطبري، أبو جعفر- دار الكتب العلمية - بيروت، (ط 1)، 1407هـ .
- (31) تاريخ بغداد. لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي -دار الكتب العلمية - بيروت، (ط 1) ، 1417هـ - 1997م.

- (32) تاريخ التربية في الشرق والغرب. لمحمد منير مرسى - عالم الكتب- القاهرة, 1977م.
- (33) تاريخ مدينة دمشق. لأبي القاسم علي بن الحسين الشافعي بن عساكر- دار الفكر - بيروت, (ط 1), 1419هـ - 1998م.
- (34) تحذير الساجد من أخطاء العبادات والعقائد. لمحمود المصري أبي عمار- مكتبة الصفا- القاهرة, (ط 1), 1427هـ - 2006م.
- (35) تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام. لمحمد ناصر الدين الألباني, - المكتب الإسلامي - بيروت, (ط 1), 1405هـ - 1984م.
- (36) التراتيب الإدارية. لعبد الحي الكتاني- دار الكتاب العرب- بيروت.
- (37) التربية الإسلامية أصولها وتصورها في البلاد العربية. للدكتور/ لمحمد منير مرسى, - عالم الكتب - القاهرة, لا ط.
- (38) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة. لعبد الرحمن النحلاوي- المكتب الإسلامي - بيروت, (ط 2), 1405هـ - 1985م.
- (39) تربية الأولاد في الإسلام, لعبد الله ناصح علوان - دار الإسلام - القاهرة, (ط 8), 1405هـ - 1985م.
- (40) التربية عبر التاريخ. لعبد الله الدئم- دار القلم للملايين- بيروت, (ط 4), 1981م.
- (41) التربية في الإسلام. لأحمد فؤاد الأهواني - دار المعارف- القاهرة, لا ط 1980م.
- (42) التربية قديمها وحديثها. لفاخر عاقل- دار القلم للملايين- بيروت, (ط 3), 1981م.
- (43) التربية وثقافة المجتمع. لإبراهيم ناصر- مؤسسة الرسالة- بيروت, (ط 1), 1404هـ - 1983م.
- (44) التعريفات. للجرجاني, تحقيق إبراهيم الأبياري. - دار الكتاب العربي- بيروت, (ط 1), 1405هـ.
- (45) تفسير التحرير والتنوير. للشيخ محمد الطاهر بن عاشور- مكتبة ابن تيمية- تونس, 1984م.

- (46) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، للإمام محمد رشيد رضى - دار الفكر - (ط 2).
- (47) تفسير القرآن العظيم. للحافظ إسماعيل بن عمر كثير الدمشقي- جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت , (ط 5), 1429هـ - 2008م.
- (48) التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج . للدكتور/ وهبة الزحيلي- دار الفكر - بيروت , (ط 1), 1411هـ - 1991م.
- (49) تقريب التهذيب. لأحمد بن حجر العسقلاني, تحقيق محمد عوامة - دار الرشيد - حلب, (ط 1), 1406هـ.
- (50) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد. للحافظ يوسف بن عبد الله بن عبد البر- دار الكتب العلمية - بيروت , (ط 1), 1419هـ - 1999م.
- (51) تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى- دار إحياء التراث العربى- بيروت, 2001م.
- (52) تهذيب التهذيب. لابن حجر العسقلاني - مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند, (ط 1), 1326هـ.
- (53) التوحيد وواقعنا المعاصر. للدكتور/ عدنان علي رضا النحوي- دار النحوي - الرياض, (ط 2), 1413هـ - 1993م.
- (54) جامع البيان في تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري- دار الكتب العلمية - بيروت (ط 2), 1420هـ - 1999م.
- (55) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. للإمام زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي - دار الفكر - بيروت , (ط 1), 1424هـ - 2003م.
- (56) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية- دار ابن كثير- (ط 1), 1408هـ - 1988م.
- (57) جولة في ربوع التربية والتعليم. لعمر رضا كحالة- مؤسسة الرسالة- بيروت, (ط 1), 1400هـ - 1980م.
- (58) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني - دار الكتب العلمية - بيروت, لا ط.

- (59) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. لسيد قطب -الإتحاد الإسلامي العالمي للفظات الطلابية- لا ط , 1398 هـ - 1978 م.
- (60) الخلاصة في أصول التربية الإسلامية. لعللي نايف الشحوذ- دار المعمورة- ماليزيا, بهانج , (ط 1), 1430 هـ - 2009 م.
- (61) الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية. لعللي نايف الشحوذ - دار المعمورة- ماليزيا, بهانج, (ط 1), 1430 هـ - 2009 م.
- (62) دراسات في تاريخ الفكر التربوي. سيد إبراهيم الجبار - وكالة المطبوعات- (ط 1), 1394 هـ- 1974 م.
- (63) دراسات في الفكر التربوي الإسلامي. لعبد الرحمن صالح عبد الله - مؤسسة الرسالة - بيروت , (ط 1), 1417 هـ - 1996 م.
- (64) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية. لمحمد الراوي- مكتبة الرشد- (ط 3), 1411 هـ - 1991 م.
- (65) الدعوة إلى الله. للدكتور/ لتوفيق الواعي - دار اليقين- المنصورة, (ط 2), 1416 هـ - 1995 م.
- (66) زاد المعاد في هدي خير العباد. لأبي عبد الله محمد أبي بكر بابن قيم الجوزية- شركة القدس للتجارة - القاهرة, (ط 1), 1429 هـ - 2008 م.
- (67) الزواجر عن اقتراف الكبائر. لابن حجر الهيتمي, تحقيق مركز الدراسات والبحوث- مكتبة نزار مصطفى الباز- المكتبة العصرية, 1420 هـ - 1999 م.
- (68) سلسلة الأحاديث الصحيحة. لمحمد ناصر الدين الألباني - الدار السلفية - الصفا, الكويت - (ط 3), 1404 هـ.
- (69) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. لمحمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف- الرياض, (ط 1), 1408 هـ - 1987 م.
- (70) سلسلة أعمال القلوب. للشيخ محمد صالح المنجد, - دار الفجر- القاهرة, (ط 1), 1426 هـ - 2005 م.
- (71) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. لمصطفى السماعي- دار السلام- القاهرة , (ط 3), 1427 هـ - 2006 م.

- (72) سنن ابن ماجه. للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني, تحقيق صدقي جميل العطار- دار الفكر- بيروت, لا ط, 1415هـ - 1995م.
- (73) سنن أبي داود. للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني- دار الحديث- حمص, (ط 1), 1394هـ - 1974م.
- (74) سنن الترمذي. لأبي حسين محمد بن عيين الترمذي - المكتبة الإسلامية- إستانبول, لا ط.
- (75) سنن الدارقطني. لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي, تحقيق: السيد عبد الله هاشم يمانى المدني - دار المعرفة - بيروت, 1386هـ - 1966م.
- (76) سنن الدارمي. للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - دار الكتب العلمية - بيروت, (ط 1), 1417هـ - 1996م.
- (77) السنن الكبرى. للإمام أحمد بن الحسين البيهقي- دار الكتب العلمية- بيروت, لا ط 1420هـ - 1999م.
- (78) سنن النسائي. للإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي - مكتبة المطبوعات الإسلامية- بحلب, (ط 1), 1347هـ - 1430هـ.
- (79) السيرة النبوية. لأبي محمد عبد الملك بن هشام- دار الكتاب العربي- بيروت, (ط 7), 1420هـ - 1999م.
- (80) سير أعلام النبلاء. للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - مؤسسة الرسالة - بيروت, (ط 11), 1419هـ - 1998م.
- (81) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي, ت 1089, دار الكتب العلمية.
- (82) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. للشيخ محمد بن عثيمين - مكتبة الصفا- القاهرة, (ط 1), 1423هـ - 2006م.
- (83) شرح صحيح مسلم. للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي- دار إحياء التراث العربي - بيروت, (ط 2).

- (84) شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الحنفي علي بن محمد- المكتبة التوقيفية- القاهرة, لا ط.
- (85) شرح العقيدة الواسطية. للشيخ محمد بن صالح العثيمين- دار ابن الجوزي- القاهرة, ط 1425- 2005م.
- (86) شعب الإيمان. للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي- دار العلمية - بيروت , (ط 8), 1421هـ - 2000م.
- (87) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية- مكتبة الصفا - القاهرة, (ط 1), 1429هـ - 2008م.
- (88) الصحاح. لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري - دار الفكر- بيروت, (ط 1), 1418هـ - 1998م.
- (89) صحيح البخاري. للإمام أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري- بيت الأفكار الدولية - الرياض , لا ط, 1419هـ - 1998م.
- (90) صحيح الجامع الصغير وزياداته. لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت , (ط 1), 1408هـ - 1988م.
- (91) صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج اليسابوري- بيت الأفكار الدولية - الرياض - لا ط, 1419هـ - 1998م.
- (92) صريح السنة. لمحمد بن جرير الطبري أبو جعفر, تحقيق: بدر يوسف المعتوق - دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت, (ط 1), 1405 هـ.
- (93) صفة الصفوة. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي - دار الفجر للتراث-(ط 1), 1424هـ - 2003م.
- (94) صيد الخاصر له أيضا. الصفا - القاهرة-(ط 1), 1424هـ - 2003م.
- (95) طبقات الشافعية الكبرى. لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن عسير الشبكي- مطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه-(ط 1).
- (96) الطبقات الكبرى. لمحمد بن سعد بن منيع المشهي المصري- دار الكتب العلمية - بيروت, (ط 2), 1418هـ - 1997م.

- (97) الطفل في الشريعة الإسلامية. لسهام مهدي جبّار - المكتبة العصرية - بيروت, (ط 1) 1417هـ - 1997م.
- (98) ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم. لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت. (ط 3) - 1413هـ - 1993م.
- (99) العالم الإسلام والمكائد الدولية فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الثالثة 1403هـ 1983م.
- (100) العبودية. لشيخ الإسلام ابن تيمية - المكتب الإسلامي - بيروت ط (5) 1399هـ .
- (101) العقائد الإسلامية. للسيد سابق - دار الفكر - بيروت, (ط 3), 1403هـ - 1983م.
- (102) العقيدة الإسلامية وأسسها. لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق, (ط 5), 1408هـ 1988م.
- (103) عقيدة أهل السنة والجماعة مفهومها خصائصها خلائع أهلها. لمحمد بن إبراهيم الحمد - دار ابن خزيمة - الرياض , (ط 2), 1419هـ - 1998م.
- (104) عقيدة المؤمن. لأبي بكر جابر الجزائري - الصفا - القاهرة, (ط 1), 1423هـ - 2002م.
- (105) الغفلة أسبابها مظاهرها آثارها علاجها. للشيخ عبد الرحمن عبد القادر العلمي - دار الإيمان - الإسكندرية, (ط 1), 2009م.
- (106) فتح الباري بشرح صحيح البخاري. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني -
- (107) فتح القدير الجامع بين فني الرواية من علم التفسير. لمحمد بن علي بن جهم الشوكاني - دار الوفاء المنصورة , (ط 7), 1429هـ - 2008م.
- (108) الفساد الخلقي في المجتمع أسبابه، آثاره، علاجه في ضوء الإسلام. للدكتور محمد ناصر الدين عبد الله التركي - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - (ط 1) , 1423هـ.
- (109) فقه الأدعية والأذكار - عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر دار بن القيم - الدمام - دار بن عفان - القاهرة - ط الأولى 1422هـ - 2001م.

- (110) فقه الدعوة إلى الله - د/ علي عبد الحليم محمود. دار الوفاء - المصورة - ط الرابعة 1412هـ - 1991م.
- (111) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم . علي خليل أبو العثيمين دار الفكر العربي ط الأولى 1980م.
- (112) الفوائد - لابن قيم الجوزية - الصفا - القاهرة - ط الأولى 1423هـ - 2002م.
- (113) في ظلال الإيمان. د صلاح عبد الفتاح الخالدي - دار القلم - دمشق - ط (3) 1415هـ - 1994م.
- (114) في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق. ط العاشرة 1402هـ - 1982م.
- (115) القاموس المحيط - لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مكتبة الإيمان - المنصورة - ط الأولى 1430هـ - 2009م.
- (116) القول المفيد علي كتاب التوحيد - للشيخ محمد بن صالح العثيمين دار الإتفاق - الإسكندرية - لا ط.
- (117) الكبائر, لمحمد بن عثمان الذهبي, دار الندوة الجديدة , بيروت.
- (118) كتاب التوحيد - عبد المجيد الزنداني - المكتبة العصرية - بيروت - لا ط 1422هـ - 2002م.
- (119) كتاب الشريعة, الإمام الآجري: 2,611. دار الوطن .
- (120) مسند الإمام أحمد بن حنبل, لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني, ت241هـ, تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد , وآخرون, مؤسسة الرسالة, ط1, 1421هـ - 2001م.
- (121) المعجم الكبير, لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني, مكتبة العلوم والحكم - الموصل, ط3 , 1404هـ - 1983م, تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- (122) موسوعة الحقوق الإسلامية. لمحمود المصري - مكتبة الصفا - القاهرة, (ط1), 1429هـ - 2008م.
- (123) موفق أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع, للدكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي, مكتبة العلم والحكم, المدينة المنورة, ط1, 1423هـ.

(124) النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي- المكتبة العلمية- بيروت ، 1399هـ ، 1979م.

(125) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لمحمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله ابن القيم، دار الكتاب العربي - بيروت. ط 1 ، 1405 - 1985م، ت: محمد عبد الرحمن عوض.

(126) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق : إحسان عباس - دار صادر - بيروت، 1900م.

ثانياً: أهم المراجع الإلكترونية:

1) المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث. <http://shamela.ws>

2) موقع صيد الفوائد. <http://saaaid.net>

3) موقع المشكاة. <http://www.almeshkat.net>

4) المكتبة الوقفية. <http://www.waqfeya.com>

5) <http://www.4shared.com>

6) <http://forum.hawahom.com>

7) <http://www.kuwaitculture.org>

8) <http://www.mawsoah.net>

فهرس الموضوعات:

الصفحة

الموضوعات

المقدمة:.....3

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.....4

5.....	منهج البحث
6.....	خطة البحث:
11.....	كلمة شكر وتقدير
12.....	التمهيد: لمحة موجزة عن التربية في المجتمعات غير الإسلامية
14.....	المبحث الأول : التربية في العصور القديمة
14.....	المطلب الأول: التربية في المجتمعات البدائية
14.....	المطلب الثاني: التربية في المجتمعات الشرقية القديمة
14	القسم الأول: التربية الهندية
15	القسم الثاني: التربية عند العبرانيين
15	القسم الثالث: التربية عند الصينيين
16.....	القسم الرابع: التربية عند الباليين والآشوريين
16.....	القسم الخامس: التربية عند الفرس
16.....	القسم السادس: التربية لدى قدامى المصريين
17.....	المطلب الثالث: التربية في المجتمعات الغربية القديمة
17.....	القسم الأول: التربية عند اليونانيين
18.....	القسم الثاني: التربية الرومانية
18.....	المبحث الثاني : التربية في العصور الوسطى

- المطلب الأول: التربية في أوروبا النصرانية.....18
- المطلب الثاني: التربية العربية قبل الإسلام.....19
- المبحث الثالث : التربية في العصر الحديث.....19
- الفصل الأول : التربية الإيمانية.21
- المبحث الأول : التربية في الإسلام.....23
- المطلب الأول : تعريف التربية الإسلامية.....23
- المطلب الثاني : أسس التربية الإسلامية.....24
- المطلب الثالث : أهداف التربية الإسلامية.....26
- المطلب الرابع : مصادر التربية الإسلامية.....28
- المبحث الثاني : الإيمان.30
- المطلب الأول : التعريف بالإيمان.....31
- المطلب الثاني : أركان الإيمان.....34
- المطلب الثالث : مراتب الإيمان.....36
- المطلب الرابع : الإيمان والإسلام38
- المطلب الخامس : ثمرات الإيمان.....39
- المطلب السادس : زيادة الإيمان ونقصانه.....41
- المطلب السابع : مميزات العقيدة الإسلامية.....45

- المبحث الثالث : أهمية التربية الإيمانية. 47
- المطلب الأول : التربية الإيمانية المقصودة. 47
- المطلب الثاني : التربية الإيمانية نعمة إلهية. 49
- المطلب الثالث : التربية الإيمانية غاية دينية. 50
- المطلب الرابع : التربية الإيمانية حاجة بشرية. 53
- المطلب الخامس : التربية الإيمانية فطرة إنسانية. 54
- المبحث الرابع : وسائل التربية الإيمانية. 57
- المطلب الأول : العلم النافع. 57
- المطلب الثاني : الشعائر التعبدية. 58
- المطلب الثالث : التلاوة والذكر. 59
- المطلب الرابع : القدوة الحسنة. 60
- المطلب الخامس : الصبغة الصالحة. 62
- المطلب السادس : الوعظ والإرشاد. 63
- المطلب السابع : المحاسبة والتقوى. 64
- المطلب الثامن : الاستعانة بالله ودعوته. 65
- الفصل الثاني : آثار التربية الإيمانية. 66
- المبحث الأول : آثار التربية الإيمانية في الفرد. 69

- المطلب الأول : الآثار النفسية.....69
- المطلب الثاني : الآثار العقلية.....71
- المطلب الثالث : الآثار السلوكية.....74
- المطلب الرابع : الآثار المادية.....76
- المبحث الثاني : آثار التربية الإيمانية في المجتمع.....80
- المطلب الأول : الإتحاد والأخوة.....81
- المطلب الثاني : التكافل والتضامن.....82
- المطلب الثالث : التناصح والتسامح.....84
- المطلب الرابع : العمل والإنتاج.....87
- المطلب الخامس : رعاية الحقوق وأداء الواجبات.....90
- المبحث الثالث : نماذج إيمانية من تاريخ المسلمين.....93
- المطلب الأول : في الاخلاص والثبات.....93
- المطلب الثاني : في طلب العلم.....95
- المطلب الثالث : في العبادات.....97
- المطلب الرابع : في التوكل علي الله والثقة به.....99
- المطلب الخامس : في الحاكم العادل.....99
- الفصل الثالث : ظاهرة الانحراف عن التربية الإيمانية.101

المبحث الأول : مظاهر الانحراف عن التربية الإيمانية بين المسلمين.	103
المطلب الأول : الانحراف في العقيدة.....	103
المطلب الثاني : الانحراف في العبادات.....	112
المطلب الثالث : الانحراف في المعاملات.....	113
المطلب الرابع : الانحراف في الأخلاق.....	115
المطلب الخامس: الانحراف في الأداب.....	116
المبحث الثاني : أسباب الانحراف عن التربية الإيمانية.	118
المطلب الأول : الأسباب الداخلية.....	119
المطلب الثاني : الأسباب الخارجية.....	121
المبحث الثالث : حلول مقترحة لمحاربة الانحراف عن التربية الإيمانية.....	123
المطلب الأول : الرجوع إلي الكتاب والسنة علي فهم سلف الأمة.....	124
المطلب الثاني : توفير وسائل التربية السليمة.....	127
الخاتمة.....	129
الفهارس العامة.....	132
فهرس الآيات.....	133
فهرس الأحاديث.....	138
فهرس المراجع.....	142

فهرس الموضوعات.....153